الترجيع في القراءة
مفهومه وحكمه

ⓗ دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع الرياض ١٤٣٤هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القثامي، ناصر سعود
الترجيع في القراءة مفهومه وأحكامه/ناصر سعود القثامي
الرياض ١٤٣٤هـ.
٠٠٠صفحة ١٧×٢٤
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨١٢٤-٠٠-٠
١. .... ٢. ....
أ- العنوان
ديوي ٠٠,٠ ١٤٣٤/٠٠٠

رقم الإيداع: ١٤٣٤/٠٠٠٠هـ
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨١٢٤-١٦-١

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ-٢٠١٣م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧
هاتف: ٤٩١٤٧٧٦– ٤٩٦٨٩٩٤فاكس: ٤٤٥٣٢٠٣
E-mail:eshbelia@hotmail.com

إصدارات الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه
سلسلة البحوث العلمية المحكمة (٣٠)

الترجيع في القراءة
مفهومه وحكمه

إعداد
د. ناصر بن سعود القثامي
رئيس قسم القراءات بجامعة الطائف

دار كنوز إشبيليا
للنشر والتوزيع

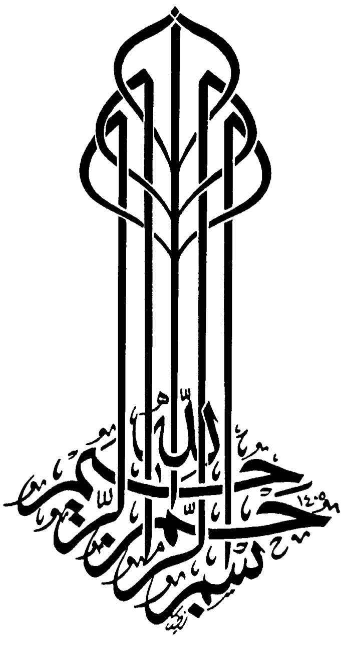
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله المنفرد بالخلق والتدبير، الواحد في الحكم والتقدير، الملك الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، المتقدّس في كمال وصْفِه عن الشبيه والنظير.

وأشهد أن لا إله إلا الله قيوم السموات والأرضين، الذي لا فوز إلا في طاعته، ولا عِزّ إلا في التذلل لعظمته، ولا غِنى إلا في الافتقار إلى رحمته، ولا حياة إلا في رضاه، ولا أنس إلا في قربه.

وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، وحجة على العباد أجمعين، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، حتى أتاه اليقين، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، ومن سار على نهجهم، واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن كتاب الله هو خيرُ ما عمّرت به الأوقات، وأفضل ما صُرِفت في تعلّمه وتعلِيمه الهِمَم العوالي، والمُهَج الغوالي.

فهو الحبل المتين، والصراط المستقيم، فيه حياة القلوب، وسعادة النفوس، وتهذيب الأخلاق، فهو كتاب الهداية والصلاح، والتوفيق والفلاح، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾(١).

---

(١) سورة الإسراء، الآية [٩].

وإنّ مِن المعلوم أن العلوم ليعلو شأنها، ويسمو قدرها، كلما كانت من كتاب الله أقرب، وبالصلة به أعلق، ومن تلك العلوم التي نالت شرف التعلق بكتاب الله علم القراءات.

فعلم القراءات مِن العلوم العظيمة والأصيلة، فهو من أجل العلوم قدرا، وأعلاها منزلة، ولا يكاد يوجد علم من العلوم الشرعية ولا العربية إلا ويعتبر هذا العلم رافداً من روافده، وينبوعاً من ينابيعه.

وإن من المسائل المتصلة بهذا العلم، ولها أثر فيه: ما يتعلق بعلم التجويد، وأحكام التلاوة والأداء، وطريقة القراءة، وحسن الصوت، وما ورد في ذلك عن النبي ﷺ، وما نُقل إلينا عنه فيما يتعلق بطريقة أدائه، ووصف قراءته، وهديه في التغني والترتيل، ومن ذلك ما نقل إلينا عن قراءته بالترجيع.

فأحببت أن أشارك بهذا البحث **بعنوان: «الترجيع في القراءة مفهومه وحكمه»**.

ويتناول البحث مفهوم الترجيع، ووصف قراءة النبي ﷺ وترجيعه فيها، وتوجيه ما يوهم التعارض مع ترجيعه، وتحرير محل الاختلاف في وقوع ترجيعه ومعناه، مع بيان الترجيع المنهي عنه في القراءة، وإيضاح العلاقة بين الترجيع والتغني، والترجيع والقراءة بالألحان، والترجيع وقوانين النغم والمقامات الموسيقية، مع التمهيد بإيضاح مشروعية تحسين الصوت بالتلاوة، وبيان أضرب القراءة والتلاوة المشروعة والممنوعة في الأداء.

وأما أسباب اختيار الموضوع فما يلي:

١ - أنه متعلق بكتاب الله دستور الأمة وسبيل هدايتها وسفينة نجاتها.

٢ - أنه متعلق بطريقة أداء وتلاوة القرآن الكريم، المتعبد بها.

٣ - أنه يوضح طريقة من طرق النبي ﷺ في القراءة، وتحرير معناها.

٤ - لم أر أحداً ممن كتب في القراءات أو في التجويد، أو علوم القرآن أفرد هذا الموضوع ببحث مستقل.

أهداف البحث:

١- تحرير مفهوم الترجيع في القراءة.

٢- وصف ترجيع النبي ﷺ الوارد، وتحرير محل الاختلاف في وقوعه ومعناه.

٣- إظهار الأضرب المشروعة والممنوعة في تلاوة وقراءة القرآن الكريم.

٤- إظهار طريقة النبي ﷺ وهديه في القراءة، وما نهى عنه في ذلك.

٥- المقارنة بين الترجيع والتغني، والترجيع والقراءة بالألحان، والتطريب، وقوانين النغم والمقامات.

خطة الكتاب:

وسوف تكون خطة البحث على النحو التالي:

المقدمة:

وتشتمل على أهمية البحث، وأهدافه، وخطته، والدراسات السابقة.

التمهيد:

ويشمل على مبحثين هما:

المبحث الأول: تحسين الصوت بتلاوة القرآن.

المبحث الثاني: أضرب القراءة المشروعة والممنوعة.

الفصل الأول: مفهوم الترجيع ووصف قراءة النبي ﷺ وترجيعه فيها.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الترجيع لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: ووصف قراءة النبي ﷺ وترجيعه فيها، وتوجيه ما يوهم التعارض مع ثبوت ترجيعه.

المبحث الثالث: مفهوم ترجيعه ﷺ وتحرير محل الاختلاف في وقوعه ومعناه.

المبحث الرابع: الترجيع المنهي عنه في القراءة.

الفصل الثاني: الترجيع والتغني والتلحين، وقوانين النغم.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الترجيع والتغني بالقرآن.

المبحث الثاني: الترجيع والقراءة بالألحان، والتطريب.

المبحث الثالث: الترجيع وقوانين النغم والمقامات الموسيقية.

الخاتمة:

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس والمراجع.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث والتتبع لم أر أحداً خصّ الترجيع ومفهومه، وترجيع النبي ﷺ ببحث مستقلٍ ناقش فيه ثبوته وأدلته والاختلاف في ذلك، ومكانته من القراءة والتلاوة.

إلا ما كان مِن تطرق له بحديث مختصرٍ، ومرورٍ بذكر حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه، وترجيع النبي ﷺ وهو على ناقته يوم الفتح، وهذا مبثوث في كتب شروح الحديث، وكتب علوم القرآن، وكتب علوم القراءات، والتجويد.

ولم أر باحثاً - حسب اطلاعي وبحثي - كَتَب بتفصيلٍ في: "الترجيع" كما فعلتُ في هذا البحث.

*****

التمهيد

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تحسين الصوت بتلاوة القرآن.

المبحث الثاني: أضرب القراءة المشروعة والممنوعة.

المبحث الأول
تحسين الصوت بتلاوة القرآن

إن تلاوة القرآن بالصوت الحسن تحرك القلوب وتوقظ النفس، وتطرد الملل والسآمة عن الفؤاد، بحسن الصوت بالقرآن ينفذ اللفظ إلى السمع، والمعنى إلى القلب.

وتحسين الصوت وجعله ندياً وجميلاً بالقرآن، تطرب له الأسماع وتخشع له القلوب، ويبعث على الخشية والتدبر.

وقد جاء الحث على تحسين الصوت بالقراءة، فعن البراء بن عازب ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال: (**زينوا القرآن بأصواتكم**)⁽¹⁾، وفي رواية: (**فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً**)⁽²⁾.

وعن فضالة بن عبيد ﵁ قال: قال ﷺ: (**لله أشد أذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته**)⁽³⁾.

وعن أبى هريرة ﵁ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (**ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به**)⁽⁴⁾.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة: ١/ ٤٨٥، والنسائي في سننه، كتاب الافتتاح، باب تزيين القرآن بالصوت: ٢/ ١٧٩، والحاكم في المستدرك: ١/ ٧٦١. وصححه الألباني في تعليقه على النسائي.

(٢) أخرجه الدارمي في سننه: كتاب فضائل القرآن، باب التغني: ٥/ ٥٦٥، وقال محققه: إسناده صحيح، والحاكم في المستدرك: ١/ ٧٦٨.

(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب إقامة الصلاة، باب في حسن الصوت بالقرآن: ٢/ ٣٦٤، والحاكم في المستدرك: ١/ ٧٦٠، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين».

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: «من لم يتغن بالقرآن»: ٦/ ٢٣٦.

يقول ابن بطال: «إن الجهر المراد في قوله: (**يجهر به**) هو إخراج الحروف في التلاوة عن مساق المحادثة بالأخبار بإلذاذ أسماعهم بحسن الصوت وترجيعه، لا الجهر المنهي عنه الجافي على السامع»(١).

وقد امتدح النبي ﷺ أبا موسى الأشعري رضي الله عنه حين سمعه يقرأ بصوت حسن فقال: (**لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود**)(٢). وفي لفظ لمسلم: (**لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود**)(٣).

قال عثمان النهدي(٤): «كان أبو موسى رضي الله عنه يصلِّ بنا فلو قلتَ إني لم أسمع صوت صَنْج قط، ولا بَرْبط قط(٥)، ولا شيئاً قط أحسن من صوته»(٦).

قال ابن بطال: «فدل ذلك أن التزيين للقرآن إنما هو تحسين الصوت به ليعظم موقعه من القلوب، وتستميل مواعظه النفوس، ولا ينكر أن يكون القرآن يزين صوت من أدمن

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال: ١٠/ ٥٢٦.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: حسن الصوت بالقراءة للقرآن: ٦/ ٢٤١.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن: ٢/ ١٩٣.

(٤) هو: عبد الرحمن بن ملّ- بلام ثقيلة والميم مثلثة- أبو عثمان النهدي، مشهور بكنيته، مخضرم تابعي، ثقة ثبت عابد، مات سنة ٩٥ هـ. التقريب ١/ ٤٩٩.

(٥) **الصنج**: - بفتح المهملة وسكون النون بعدها جيم - هو آلة تتخذ من نحاس كالطبقين يضرب أحدهما بالآخر.

البربط:- بالموحدتين بينهما راء ساكنة ثم طاء مهملة بوزن جعفر-: هو آلة تشبه العود، فارسي معرب. انظر: فتح الباري ٩/ ٩٣، لسان العرب: مادة: "صنج" و مادة: "بربط".

(٦) أخرجه أبو عبيد في فضائله ص ٩٦، ٩٧، ونقلهما عنه ابن كثير في فضائل القرآن ص ٣٥، وقال ابن حجر: «وسنده صحيح». الفتح ٩/ ٩٣.

قراءته، وآثره على حديث الناس، غير أن جلالة موقعه من القلوب، والتذاذ السامعين به لا يكون إلا مع تحسين الصوت به»⁽¹⁾.

وداود عليه السلام كان حسن الصوت فكانت الجبال والطير ترجِّع معه وهو يتلو الزبور؛ لحسن صوته، يقول الفيروزآبادي: «وحُكي من آثار صوته أشياء عجيبة، حتى إن وحوش الصحراء وطيور الهواء وسكان الأرض والسماء كانوا يطربون لسماع صوته»⁽²⁾.

يقول النووي: «أجمع العلماء رضي الله عنهم من السلف والخلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء الأمصار أئمة المسلمين على استحباب تحسين الصوت بالقرآن، وأقوالهم وأفعالهم مشهورة نهاية الشهرة، فنحن مستغنون عن نقل شيء من أفرادها ودلائل هذا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مستفيضة عند الخاصة والعامة..»⁽³⁾.

وتحسين الصوت بالقراءة بما أنه أمر مندوب إليه ومطلوب إلا أنه لا يخرج عن حدِّ قواعد الترتيل والتجويد ولا يصل إلى المبالغة والتكلّف والتنطع.

فالمطلوب تحسين الصوت بتجميله، وتزيينه، وتحزينه، وأن تنتج قراءته خشية الله⁽⁴⁾، مع جودة الأداء، وتبيين الحروف، وتحسين المخارج، وإظهار المقاطع والحروف.

يقول أبو عبيد: بعد أن ساق أحاديث تزيين الصوت بالقرآن: «والأحاديث التي ذكرناها في حسن الصوت إنما هو طريق الحزن والتخويف والتشويق»⁽⁵⁾.

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال: ١٠/ ٥٤٦.

(٢) بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٦/ ٨٤.

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن: ص ١٠٩، وانظر: جمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي: ١/ ١١٥.

(٤) انظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجة: ٣/ ١٣٢، وانظر: الموضح في التجويد لعبد الوهاب القرطبي: ٢١١.

(٥) فضائل القرآن لأبي عبيد: ص ١٦٤.

ويقول ابن كثير: «والمراد من تحسين الصوت بالقرآن تطريبه وتحزينه والتَّخَشُّع به»(١).

ويقول النووي: «قال العلماء رحمهم الله فيستحب تحسين الصوت بالقراءة: ترتيبها، ما لم يخرج عن حدّ القراءة بالتمطيط، فإن أفرط حتى زاد حرفاً، أو أخفاه فهو حرام»(٢).

ويجتهد القارئ في تحسين صوته كما جاء في رواية أبي مليكة(٣): «أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت، قال: يحسنه ما استطاع»(٤).

ويقول القسطلاني: «فإن لم يكن القارئ حسن الصوت فليحسنه ما استطاع .. وهذا إذا لم يخرج عن التجويد المعتبر عند أهل القراءات، فإن خرج عنها لم يفِ تحسين الصوت بقبح الأداء»(٥).

وكان القراء يُنعَتون بحسن الصوت، وجمال القراءة، يقول ابن الجزري عن ورش: «كان ورش جيد القراءة حسن الصوت، إذا قرأ يهمز ويمدّ ويشدد، ويبين الإعراب لا يمل سامعه»(٦).

* * * * *

---

(١) فضائل القرآن لابن كثير: ص ١٩٠، وانظر: والأنجم الزواهر في تحريم القراءة بلحون أهل الفسق لابن الكيال الشافعي، ت د. عيسى الدريبي: ص ٣٣١.

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن: ص١١٠، وانظر: التحديد في الإتقان والتجويد للداني: ص٧١.

(٣) هو: يحيى بن عبد الله بن أبي مليكة القرشي التميمي، من أفاضل مكة، مات سنة: ١٧٣هـ. التقريب: ٢/ ٣٥٢.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة، باب: استحباب الترتيل في القراءة: ١/ ٥٤٨، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٥) لطائف الإشارات لفنون القراءات للقسطلاني: ١/ ٢١٨.

(٦) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري: ١/ ٢٢٤.

المبحث الثاني

أضرب القراءة المشروعة والممنوعة(١)

ذكر علماء القراءات والتجويد أضرباً لأداء القراءة والتلاوة، منها ما ينبغي للقارئ أن يقرأ به، ومنها ما ذكروه على وجه المنع، والأوجه الجائزة لا تخرج عن حد التجويد، والقراء العشرة متباينون في الأخذ فيما يناسبهم من هذه الأوجه الجائزة.

يقول ابن الباذش: «فأما أسلوب القراءة من حدر وترتيل فهم متباينون غير مستوين... ولهذا كله حدود تحكمها المشافهة، فلا يدفع أن يكون الأخذ لهم بالترتيل أكثر استيثاقاً لمخارج الحروف وصفاتها من الأخذ بالحدر أو التوسط، والكل غير خارج عن حد التجويد إلى الإخلال بالحروف»(٢).

وقد اختلفت مسميات أضرب الأداء المشروعة بين علماء القراءات، ولكن للمتأمل يجد أنها تعود لثلاثة وهي: التحقيق والتدوير، والحدر.

يقول ابن الجزري: «فإن كلام الله تعالى يُقرأ بالتحقيق وبالحدر وبالتدوير، الذي هو التوسط بين الحالتين، مرتلاً مجوداً بلحون العرب وأصواتها، وتحسين اللفظ والصوت بحسب الاستطاعة»(٣).

---

(١) سماها بعض علماء القراءة بـ"أساليب القراءة"، كما قال ابن الباذش أعلاه"، وبـ"مراتب القراءة""، كما في: الأنجم الزواهر في تحريم القراءة بلحون أهل الفسق لابن الكيال الشافعي: ص ٣٣١، وفي نهاية القول المفيد لمحمد مكي نصر: ص ٢٨، وبـ"أوجه القراءة"، واستخدم عبد الوهاب القرطبي في الموضح في التجويد ص ٢١١: لفظ: "أضرب القراءة".

(٢) الإقناع في القراءات السبع لابن الباذش: - باختصار - ص ٣٤٥.

(٣) النشر في القراءات العشر: ١/ ٢٠٥.

١ - فالتحقيق هو: إعطاء الحروف حقها من إشباع المد، وتحقيق الهمز، وإتمام الحركات، وتوفية الغنات، وتفكيك الحروف، وهو بيانها وإخراج بعضها من بعض، مع الترسل والتؤدة في القراءة، والوقف على الوقوف الجائزة، والإتيان بالإظهار والإدغام على وجهه وهو المأخوذ به في مقام التعليم.

ويقول أبو علي الأهوازي: «وأما التحقيق: فهو حلية القراءة، وزينة التلاوة، ومحل البيان، ورائد الامتحان، وهو إعطاء الحروف حقوقها، وتنزيلها مراتبها، وردّ الحرف من حروف المعجم إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره وشكله، وإشباع لفظه، ولطف النطق به، ومتى ما غير ذلك زال الحرف عن مخرجه وحيزه»(١).

٢ — والتدوير، هو: عبارة عن التوسط بين مرتبتي الترتيل والحدر.

قال ابن الجزري: «وهو الذي ورد عن أكثر الأئمة ممن روى مد المنفصل ولم يبلغ فيه حد الإشباع، وهو مذهب سائر القراء، وصح عن جميع الأئمة، وهو المختار عند أكثر أهل الأداء»(٢).

٣ - والحدر: هو: إدراج القراءة والإسراع فيها، مع مراعاة أحكام التجويد من إظهار وإدغام، وقصر ومدٍّ، ووقف ووصل.

يقول أبو علي الأهوازي: «وأما الحدر: فإنه القراءة السهلة السمحة المرتلة، العذبة الألفاظ، اللطيفة المعنى، التي لا تخرج القارئ فيها عن طباع العرب، وعما تكلّمت به الفصحاء بعد أن تأتي بالرواية عن الإمام من أئمة القراء على ما نُقل عنه من المد والهمز،

---

(١) نقله عنه ابن الباذش في الإقناع في القراءات السبع.: ص ٣٤٥.

(٢) النشر في القراءات العشر: ١/ ٢٠٧.

والقطع والوصل، والتشديد والتخفيف، والإمالة والتفخيم، والاختلاس والإشباع، فإن خالف شيئاً من ذلك كان مخطئاً»⁽¹⁾.

ويقول ابن الجزري: «وهو ضد التحقيق. فالحدر يكون لتكثير الحسنات في القراءة، وحوز فضيلة التلاوة، وليحترز فيه عن بتر حروف المد، وذهاب صوت الغنة، واختلاس أكثر الحركات، وعن التفريط إلى غاية لا تصح بها القراءة، ولا توصف بها التلاوة، ولا يخرج عن حد الترتيل»⁽٢⁾.

وأما الترتيل: وهو قراءة القرآن بتؤدة، وطمأنينة مع تدبر المعاني، وتجويد الحروف، ومراعاة الوقوف، وهو الذي نزل القرآن بالأمر به، كما قال الله عز وجل: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾⁽٣⁾، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (بيِّنه)، وقال مجاهد: «تأنّ فيه»، وقال الضحاك: «اقرأه حرفاً حرفا»⁽٤⁾.

فمن علماء القراءات والتجويد من جعله مرادفاً للتحقيق⁽٥⁾، ومنهم من جعله ضرباً مستقلاً وفرّق بينهما، ومن فرق بينهما جعله صفة من صفات التحقيق، أو درجة أقل من التحقيق⁽٦⁾.

---

(١) نقله عنه ابن الباذش في الإقناع في القراءات السبع.: ص ٣٤٥.

(٢) النشر في القراءات العشر: ١/ ٢٠٧.

(٣) سورة المزمل، الآية: ٤.

(٤) انظر تفسير القرطبي: ١٩/ ٣٧، وتفسير ابن كثير: ٨/ ٢٥٠.

(٥) انظر: الموضح في التجويد لعبد الوهاب القرطبي: ٢١١، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري: ١/ ٢٠٧.

(٦) انظر: التحديد في الإتقان والتجويد للداني: ص ٧١، والأنجم الزواهر لابن الكيال الشافعي، ص٣٠٣.

يقول أبو عمرو الداني: «والترتيل صفةٌ من صفات التحقيق وليس به، لأن الترتيل يكون بالهمز وتركه، والقصر لحرف المد، والتخفيف والاختلاس، وليس ذلك في التحقيق»(١).

ويقول محمد مكي: «إن الترتيل نوع من التحقيق، عند الأكثرين، فكل تحقيق ترتيل ولا عكس»(٢)، وقيل: «إن الترتيل يكون للتدبر والتفكر والاستنباط، والتحقيق يكون للرياضة والتعليم»(٣).

ويقول أبو العلاء الهمذاني: «واعلم أن التحقيق والترتيل يتفقان في أوجه ويفترقان في أوجه.. - ثم قال - واعلم أن هذه الأوجه تؤول إلى ضربين: التحقيق، والآخر الحدر»(٤).

وهذه الأضرب تتعلق بسرعة الأداء وتمهله من غير إخلال في الرواية أو نقص للتجويد، أو تكلف وتعسف يخرج القراءة عن طبيعتها.

يقول الداني - بعد تعريفه للتحقيق- : «من غير تجاوز ولا تعسّف، ولا إفراط، ولا تكلّف... فأما ما يذهب إليه بعض أهل الغباوة من أهل الأداء من الإفراط في التمطيط، والتعسف في التفكيك، والإسراف في إشباع الحركات، وتلخيص السواكن، إلى غير ذلك من الألفاظ المستبشعة والمذاهب المكروهة، فخارج عن مذاهب الأئمة، وجمهور سلف الأمة، وقد وردت الآثار عنهم بكراهة»(٥).

---

(١) التحديد في الإتقان والتجويد للداني: ص ٧١.

(٢) نهاية القول المفيد في علم التجويد لمحمد مكي نصر: ص ٣٠.

(٣) قاله ابن الجزري في التمهيد: ص ٦١، وأشار إليه أبو عمرو الداني في شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني ت: غازي الحربي رسالة ماجستير جامعة أم القرى: ص٢/ ٩٢.

(٤) التمهيد في معرفة التجويد لأبي العلاء الهمذاني العطار: ص ١٨٩.

(٥) التحديد في الإتقان والتجويد للداني: ص ١٠٠.

ويقول عبد الوهاب القرطبي: «واعلم أن ما نبّه عليه من مستحسن وجوه القراءة متى لم يتأتّ لقارئٍ لُطْف اللفظ بها ورفع التكلف عنها .. خرجت عن حدها ونادت بالاستكراه على نفسها»(١).

روي عن حمزة قوله: «إن لهذا التحقيق منتهى ينتهي إليه، ثم يكون قبيحاً، مثل البياض له منتهى ينتهي إليه، فإذا زاد صار برصاً، ومثل الجعودة لها منتهىً تنتهي إليه، فإذا زادت صارت قططاً»(٢).

وأما الأوجه الممنوعة في الأداء، فقد ذكر الأهوازي، وتبعه القرطبي خمسة أضرب ممنوعة القراءة بها وهي: الترعيد، أو الترقيص، أو التطريب، أو التحزين، أو التلحين(٣).

يقول الأهوازي: «أما الترعيد في القراءة: فهو أن يأتي بالصوت إذا قرأ مضطرباً، كأنه يرتعد من برد أو ألم، وربما لحق ذلك من يطلب الألحان»(٤).

وأما الترقيص: «فهو أن يروم السكوت على السواكن، ثم ينفر مع الحركة كأنه في عدو وهرولة»(٥).

---

(١) الموضح في التجويد لعبد الوهاب القرطبي: ٢١٦.

(٢) أخرجه الداني من طريق عبد الرحمن بن أبي حماد في شرحه على قصيدة أبي مزاحم الخاقاني: ٢/ ١٦٤.

(٣) انظر: الإقناع في القراءات السبع لابن الباذش: ص ٣٤٦، والموضح في التجويد لعبد الوهاب القرطبي: ٢١١.

(٤) قال ابن الجزري: "وقد يخلط بشيء من ألحان الغناء". التمهيد علم التجويد: ص ٥٦.

(٥) يقول القرطبي: "وربما دخل ذلك على من يطلب التجويد والتحقيق، وهو أدق معرفة من الترعيد"الموضح:ص٢١٢.

وأما التطريب: «فهو أن يتنغّم بالقراءة ويترنّم، ويزيد في المد في موضع المد وغيره، وربما أتوا في ذلك بما لا يجوز في العربية، وربما دخل ذلك على من يقرأ بالتمطيط»(١).

وأما التلحين: «فهو الأصوات المعروفة عند من يغنِّي بالقصائد وإنشاد الشعر»(٢).

وأما التحزين: «فإنه ترك القارئ طباعه وعادته في الدرس إذا تلا، فيلين الصوت، ويخفض النغمة كأنه ذو خشوع وخضوع، ويجري ذلك مجرى الرياء، لا يؤخذ به»(٣).

وذكر ابن الكيال الشافعي ضرباً آخر وأسماه: "القبيسي" قال: «وهو مما ابتلي به بعض العوام الجهلة الطغام الذين يقرءون على الجنائز وفي المحافل، يسقطون حروفاً كثيرة ليستقيم لهم النغم»(٤).

---

(١) وليس المقصود به تطريب التغني بتحسين الصوت المطلوب بحدوده، والذي قال عنه ابن القيم: "التطريب والتغني الذي اقتضته الطبيعة، وسمحت به من غير تكلُّف ولا تمرين ولا تعليم بل إذا خُلّي وطبعه، واسترسلت طبيعتُه، جاءت بذلك التطريب والتلحين، فذلك جائز، وإن أعان طبيعتَه بفضلِ تزيين وتحسين، كما قاله أبو موسى الأشعري ﵁ للنبي ﷺ: (لو علمتُ أنَّك تَسْمَعُ لحَبَّرتهُ لكَ تَحبِيراً). زاد المعاد ١ / ٤٨٢، ٤٩٣ .

(٢) انظر: الموضح للقرطبي: ص ٢١٢، وسيأتي بإذن الله الحديث عن القراءة بالألحان.

(٣) وليس المقصود به تحزين القراءة والذي تقتضيه الطبيعة لتحسين الصوت، وإنما تحزين النوح والرياء والتماوت، يقول ابن الباذش: «ولا بأس أن يحزن القارئ قراءته من غير تطريب ولا ترجيع يشبه الغناء في مقاطعه ومكاسره، أو تحزيناً فاحشاً يشبه النوح، أو يميت به حروفه، فلا خير في ذلك». الإقناع في القراءات السبع: ص ٣٤٩.

(٤) الأنجم الزواهر في تحريم القراءة بلحون أهل الفسق: ص ٢٩٨.

وأشار إليه ابن الجزري بقوله: «وآخر أحدثه هؤلاء الذين يجتمعون فيقرءون كلهم بصوت واحد .. فيحذفون الألف ويحذفون الواو.. ويمدون ما لا يمد ويحركون السواكن التي لم يجز تحريكها ليستقيم لهم الطريق التي سلكوها وينبغي أن يسمى هذا التحريف»(١).

وهناك ضرب آخر وهو ما يسمى: "بالترديد"، «وهو رد الجماعة على القارئ في ختام قراءته بلحن واحد على وجه من تلك الوجوه»(٢).

وتحدث علماء القراءات والتجويد عن أوجه في الأداء ممنوعة مخصوصة ببعض الأحرف، أو بالصوت، بأعضاء النطق، فنُهي عن لكز الهمزة، وهو: دفعها بالنفس عند إخراجها، يقول ابن الجزري: «ينبغي أن القارئ إذا همز أن يأتي بالهمزة سلسلة في النطق، سهلة في الذوق من غير لكز، ولا ابتهار لها، ولا خروج بها عن حدها»(٣).

ونُهِي عن التقعر والتمضيغ والطْحر والزحْر والتشديق(٤).

يقول ابن الجزري: «كتاب الله تعالى يُقرأ بالترتيل، والتحقيق، وبالحدر، والتخفيف، وبالهمز وتركه، وبالمد وقصره، وبالبيان والإدغام، وبالإمالة والتفخيم .. وأن ينطق القارئ بالهمز من غير لكز، والمد من غير تمطيط، والتشديد من غير تمضيغ، والإشباع من غير تكلف، هذه القراءة التي يُقرأ بها كتاب الله تعالى»(٥).

* * * * *

---

(١) التمهيد في علم التجويد: ص ٥٦.

(٢) انظر: مباحث في علوم القرآن للقطان ص ١٩١.

(٣) التمهيد في علم التجويد: ص ٥٦.

(٤) انظر: بيان العيوب التي يجب أن يتجنبها القراء لأبي علي الحسن البنا: ص ٣٧، والتمضيغ: تعريض الشدقين، والطحر: إخراج الحروف بالنفس قلعاً من الصدر، كأنه يصيح غضباناً، والزحر: تمديد مخارج الحروف حتى تتقلص جلدة الوجه.

(٥) التمهيد في علم التجويد: ص ٦٢.

الفصل الأول:

مفهوم الترجيع
ووصف قراءة النبي ﷺ
وترجيعه فيها

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الترجيع لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: وصف قراءة النبي ﷺ وترجيعه فيها، وتوجيه ما يوهم التعارض مع ثبوت ترجيعه.

المبحث الثالث: مفهوم ترجيعه ﷺ وتحرير محل الاختلاف في وقوعه ومعناه.

المبحث الرابع: الترجيع المنهي عنه في القراءة.

المبحث الأول

مفهوم الترجيع لغة واصطلاحاً

الترجيع لغة:

من: «رَجَع، يَرجِع، رجْعاً ورجوعاً»، و"الرجُوع": هو العود إلى ما كان منه البدء، ومنه: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾(١) أي: المطر يرجع مرة بعد مرة ويتكرر(٢).

و"رجّع الرجلُ وترَجَّع": «رَدَّدَ صوته في قراءة، أَو أَذانٍ، أَو غِناء، أَو زَمْر، أَو غير ذلك مما يُتَرَنّم به»(٣).

و"تَرْجيعُ الصوت": "تَرْدِيده"، ومنه: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾(٤) من: "التأْوِيب"، وهو: "الرجوع"،أي: «يا جِبالُ سَبِّحي معه وَرَجِّعي التَّسْبيحَ"،وعُودي معه في التَسْبيح كلما عادَ فيه»(٥).

وقيل التَّرْجِيع: «هو تَقارُبُ ضُروبِ الحَرَكات في الصَّوْت»(٦).

---

(١) سورة الطارق، الآية [١١].

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن للراغب: ص ١٩٥، وتاج العروس للزبيدي: مادة: "رجع" ٢١/ ٧٠.

(٣) انظر: لسان العرب: مادة "رجع": ٦/ ١٠٧.

(٤) سورة سبأ، الآية [١٠].

(٥) قاله الزجاج في معاني القرآن: ٤/ ٢٤٣، وانظر تفسير القرطبي: ١٤/ ٢٦٥، وابن كثير: ٦/ ٤٩٦.

(٦) نقله الأزهري في تهذيب اللغة: ١/ ٢٣٧، عن الليث، وانظر: تاج العروس: "مادة: رجع" ٢١/ ٧٣.

وقيل الترجيع: «ترديد الصوت في الحلق كقراءة أصحاب الألحان»(١).

وقال الراغب: «الترجيع: ترديد الصوت باللحن في القراءة، وتكرير قولٍ مرتين فصاعداً ومنه ترجيع الأذان»(٢).

وقال ابن الأثير: «التَّرْجِيعُ: تَرْدِيدُ القراءةِ، - أي تكريرها- ومنه تَرْجيعُ الأذان»(٣).

قلت: فالترجيع معنىً دائر بين: الترديد، والتكرير، سواء كان للصوت كما عند القراء، أو للفظ كما عند الفقهاء في الأذان.

اصطلاحاً:

يطلق عند القراء على ضربين:

١- تحسين الصوت بحرف المد خاصة وتنغيمه، والتغني به بتكرير الصوت به وتقريب حركاته مع إشباعه.

---

(١) قاله الرازي في مختار الصحاح: ص ٢٦٧، وانظر: لسان العرب: مادة "رجع": ٦/ ١٠٧.

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب: ص ١٩٥.

(٣) النهاية في غريب الحديث: ٢/ ٤٩٢، **والترجيع في الأذان:** أن يقول الشهادتين بصوت منخفض يُسْمِعُ من كان بقربه، ثم يقولهما بصوت مرتفع كسائر جمل الأذان، سمي ترجيعاً لأنه يرجع إلى لفظ الشهادة بعد مجيئه بها، ولعل السّر في ذلك تثبيت التوحيد في قلوب الناس وحثهم على التدبر والتأمل في هاتين الكلمتين العظيمتين.

واختلفوا في ترجيع الأذان: فذهبت المالكية والشافعية: إلى استحبابه، وهو عمل أهل الحجاز، أخذاً بحديث أبي محذورة، فإن النبي ﷺ لقَّنه إياه في مكة، وذهبت الحنفية إلى عدم الاستحباب، احتجاجاً بالظاهر من حديث عبد الله بن زيد.

والإمام " أحمد " يجيز الأمرين ، ولكنه يختار أذان بلال. انظر: تيسير العلام شرح بلوغ المرام للبسام: ١/ ٩٣.

يقول الهمذاني: «الترجيع: تكرير الصوت بالمد، رجّع الرجلُ في قراءته إذا كرر صوته بالمدّ»(١).

٢- تحسين الصوت في التلاوة عموماً، وتزيينه، وخفضه وعلوه، وترديده في الحلق بإشباع المدّ في موضعه، مع التأني في القراءة، وبهذا يكون الترجيع مرتبة فوق الترتيل.

يقول ابن حجر: «الترجيع: هو تقارب ضروب الحركات في القراءة، وأصله الترديد، وترجيع الصوت: ترديده في الحلق»(٢).

ثم قال - مفسّراً ترجيعه ﷺ -: «أنه أشبع المد في موضعه، .. والذي يظهر أن في الترجيع قدراً زائداً على الترتيل»(٣).

وساق ابن حجر دليلاً على أن الترجيع مرتبة فوق الترتيل بقوله: «فعند بن أبي داود من طريق أبي إسحاق عن علقمة قال: بِتُّ مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في داره فنام، ثم قام فكان يقرأ قراءة الرجل في مسجدٍ حيَّةً لا يرفع صوته، ويُسْمِع مَن حوله، ويُرتِّل ولا يُرَجِّع»(٤).

ويقول ابن كثير: «الترجيع الترديد في الصوت».

*****

---

(١) التمهيد معرفة التجويد لأبي العطار الهمذاني: ص ١٨٦.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٩/ ٩٢.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٩/ ٩٢.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٩/ ٩٢.

المبحث الثاني

وصف قراءة النبي ﷺ وترجيعه فيها

لقد ورد في السنة وصف قراءة النبي ﷺ وتلاوته للقرآن، وطريقته في الأداء، وهو ﷺ متلقّي الوحي ومبلّغه، وإليه منتهى أسانيد القراءة، ومما ورد في ذلك ما يلي:

١- كان ﷺ حسن الصوت بالقراءة، جميل الأداء بالتلاوة، تأخذ قراءته بالألباب وتطير بالأفئدة، وقد كان صوته بالقرآن سبباً في إسلام بعض صحابته، وتثبيت الإيمان في قلوبهم.

فعن جبير بن مطعم ﵁ قال: (سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطُّور، فما سمعت أحدًا أحسن صوتًا، أو قراءة منه»⁽¹⁾.

وقال ابن كثير: «وكان جبير لَمَّا سمع هذا بعدُ مشركًا على دين قومه، وإنما كان قَدِمَ في فداء الأسارى بعد بدر، وناهيك بِمَنْ تؤثِّرُ قراءته في المشرك المصرّ على الكفر، فكان هذا سبب هدايته»⁽²⁾.

وعن البراء بن عازب ﵁ قال: (سمعت النبي ﷺ يقرأ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾⁽³⁾ في العشاء، وما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه، أو قراءة)⁽⁴⁾.

---

(١) نقله بهذا اللفظ ابن كثير في فضائل القرآن: ص ١٩٤، وقال: "في الصحيحين"، ولفظه في الصحيحين: (سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٤-٣٧] كاد قلبي أن يطير). أخرجه البخاري، كتاب التفسير: باب: قوله تعالى: (وسبح بحمد ربك..). ٦/ ١٧٥.

(٢) فضائل القرآن لابن كثير: ص ١٩٤.

(٣) سورة التين، الآية [١].

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب: قول النبي ﷺ: **(الماهر بالقرآن مع الكرام البررة)**: ٩/ ١٦٣.

٢- وقرأ ﷺ قراءة مرتلة مترسّلة استجابة لأمر الله له بقوله: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[١].

يقول ابن كثير: «أي: اقرأه على تمهّل؛ فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبره، وكذلك كان يقرأ النبي ﷺ»[٢].

ووصِفت قراءة النبي ﷺ بأوصاف عدة، وكلها تعود إلى القراءة بالتحقيق والترتيل، فوصِفت بالمفسّرَة، والمترسِّلة، وبالطول، وبالمد، وبالوقف على رؤوس الآي.

فعن أم سلمة رضي الله عنها: (أنها نعتت قراءة النبي ﷺ فإذا هي تنعت قراءة مفسَّرة حرفاً حرفاً)[٣].

وعن أنس رضي الله عنه أنه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال: (كانت مدّا)، ثم قرأ: (بسم الله الرحمن الرحيم يمد الله، ويمد الرحمن، ويمد الرحيم)[٤].

قال: العظيم آبادي: «المراد: أنه كان يمدّ ما كان في كلامه من حروف المد واللين بالقدر المعروف، وبالشرط المعلوم عند أرباب الوقوف»[٥].

---

(١) سورة المزمل، الآية [٤].

(٢) تفسير ابن كثير: ٨/ ٢٥٠.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه: ١/ ٣٦٦، وقال: «حديث حسن صحيح»، والحاكم في المستدرك: ١/ ٣٥٦، وقال: «حديث صحيح على شرط الشيخين»، وابن خزيمة في صحيحة: ٢/ ١٨٨.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: فضائل القرآن: باب: مد القراءة: ٦/ ٢٤١.

(٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي: ٤/ ٣٣٩.

يقول علي ملا قارئ — معلقاً على هذا الحديث -: «أما الأولان فمدهما طبيعي قدر ألف، وأما الأخير فمده عارض للسكون، فيجوز فيه ثلاثة أوجه: الطول وهو مقدار ثلاث ألفات، والتوسط وهو مقدار الألفين، والقصر قدر ألف»(١).

وعن حفصة رضي الله عنها أنها قالت: (.. كان يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها)(٢).

يقول القرطبي: «أي: يمد ويرتل في قراءة السور القصيرة، حتى يكون زمان قراءتها أطول من زمان قراءة سورة أخرى فوق الأولى في العدد»(٣).

ويقول المباركفوري: «يعني: أن مدة قراءته لها أطول من قراءة سورة أخرى أطول منها إذا قرئت غير مرتلة»(٤).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: (صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مُتَرَسِّلاً، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرّ بتعوذ تعوذ)(٥).

يقول القرطبي: «(مترسلاً): أي: مترفِّقًا متمهِّلاً؛ من قولهم: (على رِسْلِك)، أي: على رفقك»(٦).

---

(١) المنح الفكرية على متن الجزري لملا قارئ: ص ١٠٥.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: "جواز النافلة قائماً وقاعدا" ٢/ ١٦٤.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي: ٧/ ٥.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري: ١/ ٤٠٣.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: "استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل" ٢/ ١٨٦.

(٦) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي: ٧/ ٣٩.

وعن أم سلمة ﵂ قالت: (كان رسول الله ﷺ يقطّع قراءته يقول: الحمد لله رب العالمين، ثم يقف، الرحمن الرحيم، ثم يقف) (١).

يقول ابن القيم: «وكانت قراءته ﷺ ترتيلاً لا هذّاً ولا عجلة، بل قراءة مفسرة حرفاً حرفاً، وكان يقطع قراءته آية آية، وكان يمدّ عند حروف المد، فيمد الرحمن، ويمدّ الرحيم»(٢).

يقول أبو عمرو الداني في أرجوزته(٣) ناعتاً قراءة النبي ﷺ:

وَوَصَفَ الصَّدرُ قِراةَ المصطفى   ونعتوها بنعوت شتى
منها قراة المد والتقطيع   ومقرأ الترديد والترجيع
وذكروا بأنه قد كانا   يخفي ويعلي صوته أحيانا
أما قراة المد فهي تروى   عن أنس وعن علي تحكى
ومقرأ التقطيع قد روتها   هند عن النبي إذ حكتها
ومقرأ الترجيع قد حكاها   ابن المغفل كما رواها
وكل هذا في المصنفات   مسطر فيها عن الثقات

٣- ترجيعه ﷺ في القراءة. ورد عنه ﷺ الترجيع في قراءته، وصحّت بذلك الأخبار المنقولة، ومنها ما يلي:

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه: ٤/ ٦٥، والحاكم في المستدرك: ٢/ ٢٥٢، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وله شاهد بإسناد صحيح على شرطها عن أبي هريرة ﵁»، وقال الذهبي: «على شرط البخاري ومسلم».

(٢) زاد المعاد لابن القيم: ١/ ٤٣٦.

(٣) الأرجوزة المنبهة لأبي عمرو: ص ٩٣.

١- فعن معاوية بن قرة قال: سمعت عبد الله بن مغفل ﵁ يقول: (رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح يُرَجِّع)، وقال: (لولا أن يجتمع الناس حولي لرجَّعْتُ كما رَجَّع)⁽¹⁾.

وفي لفظ: عن معاوية بن قرة، عن عبد الله بن مغفل المزني ﵁ قال: (رأيت رسول الله ﷺ يوم الفتح على ناقة له يقرأ سورة الفتح، أو من سورة الفتح، قال: فرجَّع فيها)، قال: ثم قرأ معاوية يحكي قراءة ابن مغفل، وقال: (لولا أن يجتمع الناس عليكم لرجَّعت كما رَجَّع ابن مغفل يحكي النبي ﷺ، فقلت: لمعاوية كيف كان ترجيعه؟ قال: آآآ ثلاث مرات)⁽²⁾.

وفي لفظ: عن معاوية بن قرة عن عبد الله بن مغفل ﵁ قال: (قرأ النبي ﷺ يوم فتح مكة سورة الفتح فرجَّعَ فيها)، قال معاوية: (لو شئت أن أحكي لكم قراءة النبي ﷺ لفعلت)⁽³⁾.

وفي لفظ عن شعبة قال: أخبرني أبو إياس قال: سمعت عبد الله بن مغفل ﵁ قال: (رأيت النبي ﷺ يقرأ وهو على ناقته، أو جمله، وهي تسير به، وهو يقرأ سورة الفتح، أو من سورة الفتح قراءة لينةً، يقرأ وهو يُرَجِّع)⁽⁴⁾.

---

(١) أخرجه البخاري في: كتاب المغازي، باب: "أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح". ٥/ ١٨٧، ومسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: "ذكر قراءة النبي ﷺ سورة الفتح يوم فتح مكة": ٢/ ١٩٣، وأبو داود، في الصلاة: "باب استحباب الترتيل في القراءة": ١/ ٥٤٧، وأحمد في المسند: ٥/ ٥٦.

(٢) أخرجه البخاري في: كتاب التوحيد، باب: "ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه" ٩/ ١٩٢، **ومعاوية بن قرة** بن إياس بن هلال بن رئاب المزني، أبو إياس البصري، تابعي ثقة عالم مات سنة ١١٣هـ. التقريب: ٢/ ٢٦١.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب: التفسير، باب: "إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً" ٦/ ١٦٩،

(٤) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: "الترجيع" ٦/ ٢٤١.

وفي لفظ: عن أبي إياس عن عبد الله بن مغفل ﵁ قال: (قرأ رسول الله ﷺ يوم فتح مكة بسورة الفتح، فما سمعت قراءة أحسن منها يُرَجِّع)(١).

وعن أم هانئ ﵂ قالت: (كنتُ أسمع صوت رسول الله ﷺ في جوف الليل، وأنا نائمة على عريشي وهو يصلي يُرَجِّعُ بالقرآن)(٢).

وفي لفظ عن أم هانئ، قالت: (كنت أسمع قراءة النبي ﷺ يُرَاجِع بها في جوف الليل، وأنا متكئة على عريشي)(٣).

توجيه ما يوهم التعارض مع ثبوت ترجيعه ﷺ:

جاء عن أبي بكرة ﵁ قال: (كانت قراءة النبي ﷺ مداً ليس فيها ترجيع)(٤).

---

(١) أخرجه النسائي في فضائل القرآن، باب الترجيع: ص ١١٣.

(٢) أخرجه الطحاوي في معاني الآثار بسنده عن طريق: هلال بن خباب عن يحيى بن جعدة، باب القراءة في صلاة الليل: ٢/ ١٩٩، وأبو العلاء الهمذاني في التمهيد في معرفة التجويد: ص ١٧٠، من طريق هلال بن خباب عن يحيى بن جعدة، وذكره ابن حجر في الفتح: وجاء بلفظ: «قالت: كنت أسمع قراءة النبي ﷺ بالليل وأنا على عريشي»، عند النسائي في المجتبى: ٢/ ١٨٧، وابن ماجه: ٢/ ٣٧٣، ومصنف ابن أبي شيبة: ١/ ٣٦٥. وقال في مصباح الزجاجة: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات» ٢/ ٥، وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ١٨/ ١٤٧.

(٤) الأثر: أخرجه الطبراني في الأوسط: ٥/ ٨٦، وقال في مجمع الزوائد: ٢/ ٢٦٦: «وفيه عمرو بن وجيه وهو ضعيف»، وقال المناوي: «رمز المصنف لحسنه، وليس كما ظن»، فقد قال الهيثمي وغيره: «فيه عمرو بن وجيه وهو ضعيف»، وقال مرة أخرى: «فيه من لم أعرفه»، وفي الميزان: «تفرد به عمرو بن موسى – يعني: ابن وجيه – وهو متهم، أي: بالوضع». فيض القدير: ٥/ ٢٢١، وقال الألباني: «موضوع». ضعيف الجامع الصغير: ص ٦٤٩.

وجاء عن قتادة ﵁ قال: (كان نبيكم ﷺ حسن الوجه حسن الصوت وكان لا يُرجّع)[١].

أولاً: الأثران لا يثبتان فلا تقوم بهما الحجة.

ثانياً: يُحْمل نفي الترجيع، على الترجيع غير المأمور به — كما سيأتي بيانه — والذي يتضمن مدّ غير المدود، وجعل الحرف حروفاً، فيجر إلى الزيادة في القرآن.

يقول المناوي: قوله: «ليس فيها ترجيع: أي: يتضمن زيادة، أو نقصان كهمز غير المهموز، ومدّ غير الممدود، وجعل الحرف حروفاً فيجرّ ذلك إلى زيادة في القرآن، وهو غير جائز، والتلحين والتغني المأمور به ما سلم من ذلك»[٢].

ويقول ابن القيم – وهو يسوق أدلة المانعين من الترجيع كما سيأتي —: «والترجيع والتطريب يتضمن همز ما ليس بمهموز، ومد ما ليس بممدود، وترجيع الألف الواحد ألفات، والواو واوات، والياء ياءات، فيؤدي ذلك إلى زيادة في القرآن، وذلك غير جائز.. ويفضي إلى أن يطلق لفاعله ترديد الأصوات، وكثرة الترجيعات، والتنويع في أصناف الإيقاعات والألحان المشبهة للغناء»[٣].

* * * * *

---

[١] أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في أخبار أصبهان: ٢/ ٢٨٢، وقال المقدسي في ذخيرة الحفاظ: ٤/ ٢٠٧٠: «رواه حسام بن مصك وهو متروك الحديث».

[٢] فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٥/ ٢٢١.

[٣] زاد المعاد لابن القيم: - باختصار - ١/ ٤٧٠.

المبحث الثالث
مفهوم ترجيعه ﷺ
وتحرير محل الاختلاف في وقوعه ومعناه

لقد أوضح عدد من العلماء وشرّاح الحديث وعلماء القراءات صفة ترجيعه ﷺ، وأن ذلك حدث منه عمداً يوم الفتح، وهو على ناقته يقرأ سورة الفتح.

وذهب البعض منهم إلى نفي الترجيع في قراءته ﷺ، وأن ذلك لم يحدث منه عمداً، وإنما كان بسبب هزّ الناقة له، متأوّلين حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه، وموجهين ما ثبت من ترجيعه. وإليك بيان ذلك كله:

المذهب الأول:

ذهب جمهور العلماء إلى أن ترجيعه الوارد والثابت يوم الفتح كان عمداً، وهو على ناقته يقرأ سورة الفتح، وحملوا معنى ترجيعه على عدة صور وهي:

١- تحسين القراءة والجهر بها وتزيينها وتلحين الصوت وترديده في الحلق وخفضه وعلوه بها، وبهذا يكون نوعاً من التغني.

٢- إشباع المدّ في موضعه، مع تنغيمه، وتقريب حركاته، مع التأني، ومراعاة الوقف، وبهذا يكون مرتبة فوق الترتيل.

٣- تكرير الآية أو بعضها.

فالأول: أشار كثير من العلماء إلى أن الترجيع الوارد في الحديث محمول على التغني بالقراءة، وتحسين الصوت وتحبيره، وتلحينه وترديده في الحلق، فهو نوع من أنواع التغني المأمور به، أو صفة من صفاته، وقد تعمد النبي ﷺ فعله يوم الفتح.

ويؤيد ذلك ما جاء في بعض ألفاظ الحديث: عن أبي إياس عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال: (قرأ رسول الله ﷺ يوم فتح مكة بسورة الفتح، فما سمعت قراءة أحسن منها يُرَجِّع)(١).

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، باب الترجيع: ٧/ ٢٧٢.

ويقول ابن بطال: «ومعنى حديث ابن مغفل في هذا الباب: التنبيه على أن القرآن (يُقرأ) بالترجيع، والألحان الملذة للقلوب؛ بحسن الصوت المنشود، لا المكفوف عن مداه، الخارج عن مساق المحادثة، ألا ترى أن النبي ﷺ أراد أن يبالغ فى تزيين قراءته لسورة الفتح التي كان وعده الله فيها بفتح مكة، فأنجزه له ليستمل قلوب المشركين العتاة على الله، بفهم ما يتلوه من إنجاز وعد الله له فيهم، بإلذاذ أسماعهم بحسن الصوت المرجَّع فيه بنغم ..» (١).

وقال كذلك: – وهو يعرِّف التغني بالقراءة –: «والمعروف في كلام العرب أن التغني إنما هو الغناء الذي هو حسن الصوت بالترجيع»(٢).

وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: «معنى الترجيع تحسين التلاوة، لا ترجيع الغناء؛ لأن القراءة بترجيع الغناء تنافى الخشوع الذي هو مقصود التلاوة».

قال: «وفي الحديث ملازمته ﷺ للعبادة لأنه حالة ركوبه الناقة وهو يسير لم يترك العبادة بالتلاوة، وفي جهره بذلك إرشاد إلى أن الجهر بالعبادة قد يكون في بعض المواضع أفضل من الإسرار، وهو عند التعليم وإيقاظ الغافل، ونحو ذلك»(٣).

يقول القرطبي: «وقد استحسن كثير من فقهاء الأمصار القراءة بالتزيين والترجيع»(٤).

---

(١) شرح البخاري لابن بطال: ١٠/ ٥٣٧، وما بين المعكوفتين في النص زيادة للسياق ليست موجودة في المطبوع.

(٢) شرح البخاري لابن بطال: ١٠/ ٢٦١.

(٣) نقل قوله ابن حجر في فتح الباري: ٩/ ٩٢.

(٤) تفسير القرطبي: ١٤/ ٢٦٥.

ويقول ابن القيم: «وكان ﷺ يتغنى به، ويرجِّع صوته به أحياناً، كما رجَّع يوم الفتح في قراءته: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا**﴾(١). وإذا جمعت هذه الأحاديث إلى قوله: (**زينوا القرآن بأصواتكم**).. علمتَ أن هذا الترجيع منه ﷺ كان اختياراً لا اضطراراً لهزّ الناقة له»(٢).

ويقول ابن حجر: «معنى التغني بالقرآن: تحسين الصوت به والترجيع بقراءته»(٣).

والثاني: أشار بعض العلماء إلى أن الترجيع الوارد في الحديث محمول على إشباع المدّ في موضعه، مع تنغيمه، وتقريب حركاته، مع مراعاة مقدار المدّ والوقف.

فقد فسّر قرة بن معاوية راوي الحديث الترجيع – لما سأله الراوي شعبة –: بقوله: «فقلت لمعاوية كيف كان ترجيعه؟ قال: آ آ آ ثلاث مرات»(٤).

وفي رواية: «قال شعبة: فقلت لمعاوية بن قرة: كيف كان ترجيعه؟، قال: آا آا آا آا»(٥).

وهذا يدل على أن المقصود أنه يشبع المد مع تنغيمه وتلحينه بصوت تستلذه الأسماع وتصغي إليه وتجتمع عليه، ولذا جاء في بعض ألفاظ الحديث:

(قال أبو إياس: لولا إني أخشى أن يجتمع الناس عليّ لرجَّعتُ كما رَجَّع)(٦).

---

(١) سورة الفتح، الآية: ١.

(٢) زاد المعاد لابن القيم – باختصار –: ١/ ٤٦٣.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١٠/ ٢٥٩.

(٤) أخرجه البخاري في: كتاب التوحيد، باب: "ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه" ٩/ ١٩٢.

(٥) أخرجه أبو عوانة في مستخرجه، باب: "ذكر الخبر المبيح للقارئ أن يرجع في قراءته ويتلاحن": ٤/ ٤٦٢.

(٦) سبق تخريجه.

وفي لفظ: (قال: لولا أن يجتمع الناس عليّ لقرأتُ بهذا اللحن)[1].

قال ابن بطال: «في هذا الحديث إجازة القراءة بالترجيع والألحان الملذّة للقلوب بحسن الصوت»، وقول معاوية: (لولا أن يجتمع الناس) يشير إلى أن القراءة بالترجيع تجمع نفوس الناس إلى الإصغاء، وتستميلها بذلك حتى لا تكاد تصبر عن استماع الترجيع المشوب بلذة الحكمة المفهومة منه.

قال: «وفي قوله: (آ) بمدّ الهمزة والسكوت دلالة على أنه ﷺ كان يراعي في قراءته المدّ والوقف»[2].

يقول ابن حجر: «قوله الترجيع: هو تقارب ضروب الحركات في القراءة، وأصله: الترديد، وترجيع الصوت: ترديده في الحلق».

قال: «وقد فسَّره..عبد الله بن مغفل..بقوله: (أ ا أ) بهمزة مفتوحة بعدها ألف ساكنة، ثم همزة أخرى».

قال: «ثم قالوا: يحتمل أمرين:

أحدهما: أن ذلك حدث مِن هزّ الناقة.

والآخر: أنه أشبع المدّ في موضعه، فحدث ذلك.

وهذا الثاني أشبه بالسياق، فإن في بعض طرقه: (لولا أن يجتمع الناس لقرأتُ لكم بذلك اللحن)، "أي: النغم ..."».

ثم قال: «والذي يظهر أن في الترجيع قدراً زائداً على الترتيل، فعند بن أبي داود من طريق أبي إسحاق عن علقمة قال: (بتُّ مع عبد الله بن مسعود في داره فنام ثم قام،

---

[1] أخرجها: أحمد في مسنده: ٥/ ٥٥.

[2] شرح صحيح البخاري لابن بطال: ١٠/ ٥٣٨.

فكان يقرأ قراءة الرجل في مسجد حيّةً لا يرفع صوته ويُسْمِع مَن حوله ويرتّل ولا يرجِّع)»⁽¹⁾.

يقول القرطبي في المفهم: «وقال في صفة الترجيع: (آآآ ثلاث مرات) وهذا محمول على إشباع المدّ في موضعه»⁽²⁾.

ويقول العيني: "الترجيع .. محمول على إشباع المد في موضعه، وكان حَسَنُ الصوتِ إذا قرأ مدّ ووقف على الحروف، ويقال ما بُعِث نبيّ إلا حسن الصوت، وقام الإجماع على تحسين الصوت بالقراءة وترتيبها"⁽³⁾.

قلت: والتعبير بالثلاث ألفات دليل على أن المدّ لا يتجاوز غاية مقداره، وهو ست حركات، فالهمزة المفتوحة بعدها ألف تمد بمقدار حركتين، وهذا يوافق ما ثبتت به الرواية عن ورش وحمزة بالسند المتصل.

يقول ابن بطال: «وَصْف قراءته ﷺ: آآآ ثلاثًا هذا غاية الترجيع»⁽⁴⁾.

الثالث: تكرير الآية أو بعضها. وهذا القول محمول على المعنى اللغوي للترجيع، ومنه: "ترجيع الأذان"، كما سبق أن بيّنتُ ذلك، وقد ذهب إلى القول بهذا بعض المتأخرين⁽⁵⁾، ولم أر أحداً من المتقدمين فسّر ترجيع النبي ﷺ في حديث ابن مغفل بترديده للآية.

---

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري: - باختصار - ٩/ ٩٢.

(2) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: ٧/ ٥٧.

(3) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ٢٨/ ٢٤٩.

(4) شرح صحيح البخاري لابن بطال: ١٠/ ٥٣٨.

(5) منهم: د. سعود الفنيسان في كتابه: فتح المجيد في حكم القراءة بالتغني والتجويد: ٨٧، وأبو شادي في كتابه: حكم القراءة بالمقامات الموسيقية والألحان: ص ٩١.

وقد رأيت أبا العلاء الهمذاني عند إشارته لصفات قراءة النبي ﷺ أنه جمع بين: "الترديد والترجيع"(١)، واستدل للترديد بما ثبت عن النبي ﷺ من ترديده لآية يقوم بها، كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: (سمعت رسول الله ﷺ وهو يصلي ذات ليلة وهو يردد آية حتى أصبح، بها يركع، وبها يسجد: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾(٢))(٣).

واستدل للترجيع بحديث ابن مغفل، وبهذا لا دليل على فعله بأن ترجيعه كان ترديداً للآية.

وأما المتأخرون الذين ذكروا ذلك فكانت العلةُ في تفسيرهم الترجيع بالترديد ردَّ الاستدلال بحديث ابن مغفل على التغني بقراءة القرآن وتطريبه وتنغيمه، فذهبوا إلى أن الترجيع يُحمل على معنيين: الأول: رفع الصوت بالغناء، والثاني تكرار الكلام وإعادته، قالوا: والمعنى الأول منتفٍ فتبين أن المراد هو الثاني(٤).

وقلت: وهذا تأويل بعيد، لا دليل عليه، يرده ما ذكرتُ من أقوالٍ مفسِّرة لترجيعه ﷺ، ثم لماذا ضَرْبُ الاحتمالات مع توافر النصوص التي دلّت على مشروعية التغني والترنم بقراءة القرآن؟.

---

(١) التمهيد في معرفة التجويد لأبي العلاء الهمذاني: ص ١٦٦.

(٢) سورة المائدة، الآية [١١٨].

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى: ٢/ ١٧٧، وابن ماجة في سننه: ٢/ ٣٧٢، وقال الألباني: «صحيح».

(٤) فتح المجيد في حكم القراءة بالتغني والتجويد: ٨٧.

المذهب الثاني:

ذهب بعض العلماء إلى أن الترجيع الوارد في الحديث لم يكن عمداً، نافين الترجيع عنه ﷺ، وأنه يتنافى مع قواعد القراءة الصحيحة الثابتة بالأسانيد، وإليك بيان ذلك:

يقول القرطبي: «فقد روى عبد الله بن مغفل قال: (قرأ رسول الله ﷺ في مسير له سورة: الفتح على راحلته فرجَّع في قراءته)، وذكره البخاري، وقال في صفة الترجيع: آء آء آء، ثلاث مرات، قلنا: ... ويحتمل أن يكون صوته عند هز الراحلة، كما يعتري رافع صوته إذا كان راكباً من انضغاط صوته وتقطيعه لأجل هزّ المركوب، وإذا احتمل هذا فلا حجة فيه».

وقال: «ثم إن في الترجيع والتطريب همز ما ليس بمهموز، ومدّ ما ليس بممدود، فترجيع الألف الواحدة ألفات، والواو الواحدة واوات، والشبه الواحدة شبهات، فيؤدي ذلك إلى زيادة في القرآن، وذلك ممنوع، وإن وافق ذلك موضع نبرٍ وهمزٍ صيروها نبرات وهمزات، والنبرة حيثما وقعت من الحروف فإنما هي همزة واحدة لا غير، إما ممدودة وإما مقصورة»(١).

ويقول ابن الأثير: «وقد حكى عبد الله ابن مغفل ترجيعه بمدّ الصوت في القراءة نحو: (آء آء آء) وهذا إنما حصل منه - والله أعلم - يوم الفتح لأنه كان راكباً فجعلت الناقةُ تحرِّكُه وتُنَزِّيه فحدث الترجيع في صوته».

قال: «وفي حديث آخر: (غير أنه كان لا يُرَجِّع) ووجهه أنه لم يكن حينئذٍ راكباً فلم يحدث في قراءته الترجيع»(٢).

ويقول ابن كثير: «وأما الترجيع: فهو الترديد في الصوت كما جاء في البخاري: أنه جعل يقول: (آ آ آ)، وكان ذلك صدر من حركة الدابة تحته، فدل على جواز التلاوة عليها،

---

(١) تفسير القرطبي: ١/ ١٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث لبن الأثير: ٢/ ٤٩٢.

وإن أفضى إلى ذلك، ولا يكون ذلك من باب الزيادة في الحروف، بل ذلك مغتفر للحاجة، كما يصلَّي على الدابة حيث توجهت به..»(١).

والرأي الراجح: أن ترجيعه ﷺ كان عمداً، ولم يكن بسبب هزّ الناقة، وهو مِن حسن صوته بالقراءة، ومن التغني المأمور به، وقد أيدّ ذلك عدد من العلماء:

يقول ابن القيم: «وكان ﷺ يتغنّى به ويرجّع صوته به أحياناً كما رجّع يوم الفتح في قراءته .... وإذا جمعت هذه الأحاديث إلى قوله: (**زينوا القرآن بأصواتكم**)، وقوله: (**ليس منّا من لم يتغن بالقرآن**)، وقوله: (**ما أذن الله لشيء كإذنه لنبيّ حسن الصوت يتغنى بالقرآن**)، علمتَ أن هذا الترجيع منه ﷺ كان اختياراً لا اضطراراً لهزّ الناقة له، فإن هذا لو كان لأجل هزّ الناقة لما كان داخلاً تحت الاختيار، فلم يكن عبد الله بن مغفل يحكيه ويفعله اختياراً ليتأسى به، وهو يرى هزّ الراحلة له حتى ينقطع صوته، ثم يقول: (كان يُرجِّع في قراءته): فَنَسَب الترجيعَ إلى فِعله، ولو كان من هزّ الراحلة لم يكن منه فعلٌ يسمَّى ترجيعاً»(٢).

ويقول ابن حجر: «قالوا يحتمل أمرين: أحدهما: أن ذلك حدثَ من هزّ الناقة، والآخر: أنه أشبع المدّ في موضعه فحدث ذلك، وهذا الثاني أشبه بالسياق، فإن في بعض طرقه: (لولا أن يجتمع الناس لقرأتُ لكم بذلك اللحن)، أي: النغم ...»(٣).

قلت: ثم إن الترجيع قد ثبت عنه ﷺ في حديث آخر، وهو حديث أم هاني السابق، ولم يكن راكباً على ناقة.

* * * * *

---

(١) فضائل القرآن لابن كثير: ٢٤١ .

(٢) زاد المعاد لابن القيم – باختصار -: ١/ ٤٦٣.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري: - باختصار - ٩/ ٩٢.

المبحث الرابع

الترجيع المنهي عنه في القراءة

إن الترجيع المنقول والثابت والمأمور به وهو ما كان على سبيل التغني، وتحسين الصوت فإنه محدود بحدود القراءة الصحيحة وضوابط الأداء والتجويد المنقولة بالأسانيد المتصلة، وإذا تجاوز هذا الحد خرج إلى الترجيع المنهي عنه، وتمطيط أهل الغناء والنوح، وترجيع أهل الكتاب، وهذا لا يجوز في كتاب الله، فقد جاء في الحديث: عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الكتاب والفسق، فإنه سيجيء من بعدي أقوامٌ يُرَجِّعُون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنه**)(١).

قال أبو عمرو الداني: «وهذا الخبر أصلٌ لصحة افتراق طباع أئمة القراءة .. واختلاف مذاهبها في ما تلقته من أئمتها ... إذ معنى قول النبي ﷺ: (**بلحون العرب وأصواتها**) يريد طباعها ومذاهبها، وذلك إجماع باتفاق من أهل العلم باللسان من طباعها ومذاهبها، ولكل ضربٍ منه حدٌّ ينتهي إليه لا يتجاوز، وغاية يبلغ إليها لا تخالف»(٢).

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط: ٧/ ١٨٣، وأبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن: ص ١٩٥، والبيهقي في شعب الإيمان: ٤/ ٢٠٨، كلهم من طريق بقية، وفي سند "أبو محمد" مجهول، قاله ابن الجوزي في العلل المتناهية: ١/ ١١٨، وقال ابن كثير في فضائل القرآن: ص ٢٠١، بعد أن ساقه وساق آثاراً ممن مثله: "وهذه طرق حسنة في باب الترهيب"، وقال عبد العزيز عبد الفتاح قارئ: «لكن المتن صحيح وله شواهد كثيرة». سنن القراء ومناهج المجودين: ص ٩٤.

(٢) التحديد في الإتقان التجويد: ص ٨٤، وانظر: شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني للداني، ت: غازي الحربي رسالة ماجستير جامعة أم القرى بمكة: ٢/ ١٦١.

قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: «معنى الترجيع: تحسين التلاوة لا ترجيع الغناء؛ لأن القراءة بترجيع الغناء تنافي الخشوع الذي هو مقصود التلاوة»(١).

يقول القرطبي: «وإن لم يحدّ بحدٍّ — الترجيع - أفضى إلى أن يطلق لفاعله ترديد الأصوات، وكثرة الترجيعات، والتنويع في أصناف الإيقاعات، والألحان المشبهة للغناء، كما يفعل أهل الغناء بالأبيات، وكما يفعله كثير من القراء أمام الجنائز، ويفعله كثير من قراء الأصوات، مما يتضمن تغيير كتاب الله، والغناء به على نحو ألحان الشعر، والغناء، ويوقعون الإيقاعات عليه، مثل الغناء سواء، اجتراءً على الله وكتابه، وتلاعباً بالقرآن، وركوناً إلى تزيين الشيطان، ولا يجيز ذلك أحدٌ من علماء الإسلام»(٢).

ويقول عبد الرحمن الدوسري: «ولقد شدّد العلماء فيما يتعلق بترجيع القرآن الكريم والتغني به، ووضعوا لذلك معايير دقيقة، وهي عدم الخروج عن حدود التجويد، وأن لا يكون ذلك لمجرد النغم من غير نظر إلى المعاني، وأن لا يكون مشابهاً لترجيع الغناء؛ المنافي للخشوع الذي هو مقصود التلاوة، ولهذا نصّ العلماء رحمهم الله على منع القراءة بالترعيد والترقيص والتطريب»(٣).

ويقول ملا علي قارئ: «"ترجيع الغناء": بمعنى النغمة، "والنوح" من النياحة، والمراد: ترديداً مخرجاً لها عن موضعها إذا لم يأت تلحينهم على أصول النغمات إلا بذلك»(٤).

---

(١) نقل قوله ابن حجر في فتح الباري: ٩/ ٩٢.

(٢) تفسير القرطبي: ١٤/ ٢٦٦.

(٣) الجواب المفيد في الفرق بين التغني والتجويد، لعبدالرحمن الدوسري من علماء نجد: ت: د. سعود الفنيسان: ص ٤٣.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٤/ ١٥٠٥.

فالترجيع إذا خرج بالقراءة إلى التمطيط وانتقاص موازين التجويد أصبح مردوداً تمجه الأسماع وتستكرهه آذان الحذاق، فالقراء مجمعون على التزام التجويد في جميع أحوال القراءة سواء كانت ترتيلاً أو حدراً أو ترجيعاً.

يقول ابن أم قاسم المرادي: «والقراء مجمعون على التزام التجويد في جميع أحوال القراءة من ترتيل وحدرٍ وتوسط .. ولابد في جميع ذلك من إقامة مخارج الحروف وصفاتها»^(١).

يقول ابن الجزري: «فمن قدر على تصحيح كلام الله تعالى باللفظ الصحيح، العربي الفصيح، وعدل إلى اللفظ الفاسد العجمي، أو النبطي، استغناء بنفسه، واستبدادًا واتكالاً على ما أَلِف من حفظه، واستكبارًا عن الرجوع إلى عالم يوقفه على صحيح لفظه؛ فإنه مقصِّرٌ بلا شك، وآثم بلا ريب، وغاشٌّ بلا مِرْيَة»^(٢).

وإذا كان كذلك فيمتنع مع الترجيع ما جاء التحذير منه في القراءة عند أهل الأداء مما أشرتُ إليه سابقاً لكونه يتنافى مع قواعد التجويد والترتيل.

يقول الأهوازي: «سمعت جماعة من شيوخي يقولون: لا يجوز للمقرئ أن يقرئ منها بخمسة أضرب: بالترعيد، والترقيص، والتطريب، والتلحين، والتحزين»^(٣).

ومن الترجيع المنهي عنه ترديد الحروف في القراءة يقول الطيبي: «الترجيع في القرآن ترديد الحروف كقراءة النصارى»^(٤).

---

(١) نقل قوله في الوجيز في حكم تجويد الكتاب العزيز د. سيدي الأمين: ص ٣٧.

(٢) النشر في القراءات العشر: ١/ ٢٣٧.

(٣) نقله عنه ابن الباذش في الإقناع في القراءات السبع.: ص ٣٤٤.

(٤) نقل قوله القرطبي في تفسير القرآن: ١/ ١٧. .

ومن الترجيع المنهي عنه ترجيع ألحان الغناء، وألحان الرهبان في كنائسهم، والأحبار في بيعهم، وألحان النائحين والنادبين، وتطريب الفساق، وتمطيط الجهال.

يقول القرطبي: «إن في الترجيع والتطريب همز ما ليس بمهموز، ومد ما ليس بممدود، فترجع الألف الواحدة ألفات، والواو الواحدة واوات...، فيؤدي ذلك إلى زيادة في القرآن، وذلك ممنوع»(١).

* * * * *

---

(١) تفسير القرطبي: ١/ ١٦.

الفصل الثاني:

الترجيع والتغني بالقرآن

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الترجيع والتغني بالقرآن.

المبحث الثاني: الترجيع والقراءة بالألحان، والتطريب.

المبحث الثالث: الترجيع وقوانين النغم والمقامات الموسيقية.

المبحث الأول

الترجيع والتغني بالقرآن

لقد أجمع أهل العلم على أن التغني بالقرآن بتحسين الصوت به وتلحين القراءة وتزيينها وتحبيرها بلا تكلّف ولا مبالغة مأمور به شرعاً، فقد جاء في الحديث عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **(ما أذن الله لشيء ما أذن للنبي أن يتغنى بالقرآن)**(١).

أي: «ما استمع الله إلى شيء من كلام الناس إلى نبي يتغنى بالقرآن»، قاله ابن بطال(٢).

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **(ليس منا من لم يتغن بالقرآن)**(٣).

فالله شرع لعبادة التغني بالقرآن، والترنم به ليستغنوا به عن النغم المحرم، فالنفس بطبيعتها مندفعة إلى سماع الصوت الحسن.

قال بن الأعرابي: «كانت العرب إذا ركبت الإبل تتغنى، وإذا جلست في أفنيتها وفي أكثر أحوالها، فلما نزل القرآن أحب النبي ﷺ أن يكون هجيراهم القراءة مكان التغني»(٤).

ويقول ابن حجر: «ولا شك أن النفوس تميل إلى سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم لأن للتطريب تأثيرا في رقة القلب وإجراء الدمع»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: من لم يتغن بالقرآن: ٦/ ٢٣٦.

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال: ١٠/ ٢٦٢.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب: "وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور": ٩/ ١٨٨.

(٤) نقله ابن حجر في فتح الباري: ٩/ ٧٠.

(٥) المرجع السابق.

واختلف أهل العلم في معنى التغني بالقرآن، وفسّروه بتفسيرات عديدة.

والذي رجّحه المحققون أن التغني الوارد في الحديث المقصود به: تحسين الصوت، وتزيينه(١).

يقول ابن حجر: «وإن كانت ظواهر الأخبار ترجح أن المراد — بالتغني - تحسين الصوت»(٢).

ويُعبّر عنه أحياناً بـ"الترجيع"، وهذا من إطلاق البعض على الكل، إذ الترجيع نوع من أنواع التغني، وهو كيفية من كيفياته كما أسلفت.

يقول ابن بطال: «واختلف الناس فى معنى: التغني بالقرآن؛ وقالت طائفة: معنى التغني بالقرآن: تحسين الصوت به والترجيع بقراءته»(٣).

ويقول ابن حجر: «والمعروف في كلام العرب أن التغني الترجيع بالصوت(٤)، كما قال حسان:

تَغَنَّ بالشِّعرِ إما أنتَ قائِلُه   إنّ الغناءَ بهذا الشّعر مِضمَار

والتغني بالقراءة بتحسينها والترجيع بها لا يفضي إلى المبالغة في إشباع المد والإخلال بالألفاظ، وإلا كان حراماً لا يجوز في كتاب الله عز وجل».

---

(١) انظر: والأنجم الزواهر في تحريم القراءة بلحون أهل الفسق: ص ٣١٦، والتغني بالقرآن للبيب السعيد: ٤٥.

(٢) فتح الباري لابن حجر: ٩/ ٧١.

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال: ١٠/ ٢٥٩.

(٤) فتح الباري لابن حجر: ٩/ ٧١.

يقول النووي: «قال العلماء رحمهم الله فيستحب تحسين الصوت بالقراءة وترتيبها ما لم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط، فإن أفرط حتى زاد حرفاً، أو أخفاه فهو حرام»(١).

ويقول ابن القيم: «والتغني على وجهين: **أحدهما**: ما اقتضته الطبيعة، وسمحت به من غير تكلّف، ولا تمرين، ولا تعليم، بل إذا خلي وطبعه واسترسلت طبيعته جاءت بذلك التطريب والتلحين، فذلك جائز، وإن أعان طبيعته بفضل تزيين وتحسين كما قال أبو موسى الأشعري للنبي ﷺ: (لو علمتُ أنك تسمع لحبرته لك تحبيراً)، والحزين ومن هاجه الطرب، والحب والشوق لا يملك من نفسه دفع التحزين والتطريب في القراءة، ولكن النفوس تقبله وتستحليه لموافقته الطبع وعدم التكلّف والتصنّع فيه فهو مطبوع لا متطبع، وكلف لا متكلّف، فهذا هو الذي كان السلف يفعلونه ويستمعونه، وهو التغني الممدوح المحمود، وهو الذي يتأثر به التالي والسامع»(٢).

* * * * *

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن: ص ١١٠ .

(٢) زاد المعاد لابن القيم: ١/ ٤٨٢، ٤٩٣.

المبحث الثاني
الترجيع والقراءة بالألحان والتطريب

الألحان واللحون: جمع لحن، وهو التطريب وترجيع الصوت وتحسينه بالقراءة والشعر والغناء(١).

سئل الفضيل بن عياض عن القراءة بالألحان حتى كأنه غناء، فقال: «إنما أخذوا هذا من الغناء قوم اشتهوا الغناء فاستحلوا فجعلوه نصب الغناء على القرآن، وعسى أن يقرأ الرجل ليس له صوت فلا يعجبهم، وهو خير من صاحب الصوت، ويقرأ الآخر فيعجبهم صوته، فيقولون ما أحسن قراءته، ولعله لا تجاوز قراءته حنجرته»(٢).

وقد جاء في الحديث قوله ﷺ: **(بادروا ستاً)** — وذكر منها — **(ونشواً يتخذون القرآن مزامير، يقدِّمون أحدهم ليس بأفقههم ولا أفضلهم إلا ليغنيهم به غناء)**(٣).

وقد سئل الإمام مالك رحمه الله عن الألحان في الصلاة فقال: «لا تعجبني، وقال: إنما هو غناء يتغنّون به ليأخذوا عليه الدراهم»(٤).

وروي عن الإمام أحمد رحمه الله أنه سئل: «ما تقول في القراءة بالألحان؟ فقال للسائل: ما اسمك؟ قال: محمد، قال له: أيسرّك أن يقال لك: يا موحامد ممدوداً»(٥).

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث: ٤/ ٤٦٠، وتفسير القرطبي: ١/ ١٧.

(٢) انظر: فضائل القرآن للمستغفري: ص ١٥٤.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ٣/ ٣٤٧، وأحمد في المسند: ٣/ ٥٠٠، وقال محققه: شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره".

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ١١، وهو في المدونة الكبرى: ١/ ٢٨٨.

(٥) انظر: المغني لابن قدامة: ١٢/ ٤٧.

وقد اختلف الفقهاء في القراءة بالألحان، فذهب المالكية والحنابلة إلى كراهتها مستدلين بما أسلفتُ من آثار.

وذهب الحنفية والشافعية إلى جواز القراءة بالألحان، مستدلين بأحاديث الحث على تحسين الصوت بالقراءة، وحديث ترجيع النبي ﷺ(١).

يقول الماوردي في الحاوي: «فأما القراءة بالألحان الموضوعة للأغاني، فقد اختلف الناس فيها، فرخصها قوم وأباحوها، .. وشددها آخرون وحظروها، لخروجها عن الزجر والعظة، إلى اللهو والطرب، ولأنها خارجة عن عرف الرسول ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم، إلى ما استحدث من بعده ..

قال: وأما الشافعي، فإنه عدل عن هذين الإطلاقين في الحظر والإباحة باعتبار الألحان، فإذا أَخْرجت ألفاظ القرآن عن صيغته، بإدخال حركات فيه، وإخراج حركات منه، يقصد بها وزن الكلام وانتظام اللحن، أو مد مقصور، أو قصر ممدود، أو مطَط حتى خفي اللفظ، والتبس المعنى، فهذا محظور، يفسق به القارئ، ويأثم به المستمع، لأنه قد عدل به عن نهجه إلى اعوجاجه، والله تعالى يقول: ﴿ **قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ** ﴾(٢)، وإن لم يخرجه اللحن عن صيغة لفظه وقراءته على ترتيله كان مباحاً، لأنه قد زاد بألحانه في تحسينه»(٣).

---

(١) انظر المسألة في: الحاوي الكبير للماوردي: ١٧/ ٣٠٤، المغني لابن قدامة: ٣/ ٤٠٤ .

(٢) سورة الزمر، الآية [٢٨].

(٣) الحاوي الكبير للماوردي: ١٧/ ٣٠٤ ..

قال الشّافعيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا بأس بالقراءة بالألحان وتحسين الصّوت بأيّ وجه ما كان، وأحبّ ما يقرأ إليّ حدراً وتحزيناً»(١).

وعند التأمل نجد أنه في الحقيقة لا خلاف بينهم، فالمانعون يقصدون بمنعهم القراءة بألحان الغناء وترجيعاته وطربه الملهي، والذي يخرج بالقراءة عن أحكامها وقواعدها المنقولة بالأسانيد الصحيحة، ويرون مشروعية تحسين الصوت وتطريبه على لحون العرب وأصواتها، مع مراعاة أحكام التجويد وقواعده.

والمجيزون من الفقهاء يتفقون في ذلك، وتحمل عباراتهم على التحسين للصوت، غير الخارج عن حد القراءة إلى الألحان الملهية.

يقول الإمام النووي: «وأما القراءة بالألحان فقد قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موضع أكرهها، قال أصحابنا ليست على قولين، بل فيه تفصيل: إن أفرط في التمطيط فجاوز الحد فهو الذي كرهه، وإن لم يجاوز فهو الذي لم يكرهه»(٢).

وقال ابن الكيال الشافعي - في كتابه: الأنجم الزواهر في تحريم القراءة بلحون أهل الفسق والكبائر معلقاً على كلام النووي -: «وأما القسم الأول من القراءة بالألحان المحرمة مصيبة ابتلي بها بعض العوام الجهلة، والطغام الغشمة الذين يقرأون على الجنائز، وفي بعض المحافل، وهذه بدعة ظاهرة محرمة يأثم كل مستمع لها»(٣).

وأما الترجيع الذي ثبت عن النبي ﷺ في حديث عبد الله بن مغفل فهو ترجيع موافق للحون العرب وأصواتها، بل هو نوع من أنواع ألحانها وأصواتها، خارج عن التطريب واللحن الغنائي المحرم.

---

(١) انظر: الحاوي الكبير للماوردي: ١٧/ ٤٠٠.

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن: ص ١١١.

(٣) الأنجم الزواهر في تحريم القراءة بلحون أهل الفسق والكبائر: ص ٢٩٦.

يقول ابن الجزري: «يُقرأ كتاب الله مرتلاً مجوداً بلحون العرب وأصواتها، وتحسين اللفظ والصوت بحسب الاستطاعة»(١).

فذكر في قوله: - «قبل أن يقول: «بلحون العرب» — «يُقرأ مرتلاً مجوداً»، هذا ما اشترطه القراء، وترجيع النبي ﷺ لا يخرج عنه، وإلا فكيف وصلت إلينا الرواية المتواترة بقراءته ﷺ مجودة مرتلة».

ويقول ابن الكيال الشافعي: «ولا خلاف بين العلماء الذين يُعتد بهم أن القراءة بالألحان، أعني: ألحان العرب الفصيحة الصحيحة السالمة من الزيادة والنقصان جائزة، بل مستحبة مشروعة مسنونة»(٢).

يقول ابن قدامة: «كره أبو عبد الله — الإمام أحمد - القراءة بالألحان، وقال: هي بدعة؛ وذلك لما روي عن النبي ﷺ أنه ذكر في أشراط الساعة: (**أن يُتخذ القرآن مزامير، يقدّمون أحدهم ليس بأقرئهم ولا أفضلهم إلا ليغنيهم غناء**)(٣)، ولأن القرآن معجز في لفظه ونظمه، والألحان تُغيّره.

قال: وكلام أحمد في هذا محمول على الإفراط في ذلك، بحيث يجعل الحركات حروفاً، ويمد في غير موضعه، فأما تحسين القراءة والترجيع فغير مكروه؛ فإن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال: (سمعت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة يقرأ سورة الفتح)»(٤).

---

(١) النشر في القراءات العشر: ١/ ٢٣١.

(٢) الأنجم الزواهر في تحريم القراءة بلحون أهل الفسق والكبائر: ص ٢٩٧.

(٣) الحديث سبق تخريجه.

(٤) المغني لابن قدامة: ٣/ ٤٠٤.

وقد يطلق الترجيع على القراءة بالألحان المحرمة وعلى التطريب الممنوع، أخذاً من نص الحديث: (**يُرَجِّعُون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح**)، وهذا محمول على الترجيع المحرم، والتطريب الذي يخرج بالقراءة عن حسنها إلى تمطيطها.

يقول القرطبي: «إن في الترجيع والتطريب همزَ ما ليس بمهموز، ومدَّ ما ليس بممدود، فترجع الألف الواحدة ألفات، والواو الواحدة واوات... فيؤدي ذلك إلى زيادة في القرآن، وذلك ممنوع»(١).

* * * * *

---

(١) تفسير القرطبي: ١/ ١٦.

المبحث الثالث

الترجيع وقوانين النغم والمقامات الموسيقية.

إن المطلوب شرعاً في التلاوة والقراءة هو تحسين الصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه والخشوع والخضوع، والقراءة على ألحان العرب وأصواتها وطبائعها.

ومن جملة تحسينه أن يراعي قوانين النغم، فإن الصوت الحسن يزداد حسناً بذلك، قاله ابن حجر في الفتح(١).

وقال مقيداً ذلك: «ما لم يخرج عن شرط الأداء المعتبر عند أهل القراءات، فإن خرج عنها لم يف تحسين الصوت بقبح الأداء، ولعل هذا مستند من كَرِه القراءة بالأنغام؛ لأن الغالب على من راعى الأنغام أن لا يراعي الأداء، فإن وُجِد مَن يراعيهما معاً فلا شك في أنه أرجح من غيره؛ لأنه يأتي بالمطلوب من تحسين الصوت ويجتنب الممنوع من حرمة الأداء».

قلت: والتعبير بقانون النغم المقصود به قوانين النغم العربي، وألحانه الفطرية الطبيعية، ومذاهبه وأنواعه، وليس المقصود قوانين الغناء الشيطاني ومقاماته الموسيقية، التي تخرج بالقراءة عن مسارها المنقول بالسند المتصل.

يقول ابن كثير: «فأما الأصوات بالنغمات المحدثة، المركبة على الأوزان، والأوضاع الملهية، والقانون الموسيقائي، فالقرآن ينزّه عن هذا، ويجلّ، ويعظّم أن يسلك في أدائه هذا المذهب»(٢).

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٩/ ٧٢.

(٢) فضائل القرآن لابن كثير: ص١٩، وانظر: بدع القراء القديمة و المعاصرة: للشيخ بكر أبو زيد: ص١٨.

ويقول ابن الجوزي: «قراءة القرآن بالألحان بأصوات الغناء وأوزانه وإيقاعاته على طريقة أصحاب الموسيقى فرخّص فيه بعض المتقدمين، إذا قصد به الاستعانة على إيصال معاني القرآن إلى القلوب؛ للتحزين والتشويق والتخويف والترقيق، وأنكر ذلك أكثر العلماء، ومنهم من حكاه إجماعاً، ولم يثبت فيه نزاعاً، منهم أبو عبيد، وغيره من الأئمة..».

قال: «وفي الحقيقة هذه الألحان المبتدعة المطربة تهيج الطباع، وتلهي عن تدبر ما يحصل له من الاستماع، حتى يصير الالتذاذ بمجرد سماع النغمات الموزونة، والأصوات المطربة، وذلك يمنع المقصود من تدبر معاني القرآن»⁽¹⁾.

ويقول ابن تيمية: «ومع هذا فلا يسوغ أن يُقرأ القرآن بألحان الغناء، ولا أن يُقرن به من الألحان ما يقرن بالغناء من الآلات وغيرها، لا عند من يقول بإباحة ذلك، ولا عند من يحرّمه، بل المسلمون متفقون على الإنكار لِأَن يقرن بتحسين الصوت بالقرآن الآلات المطربة بالفم كالمزامير وباليد كالغرابيل»⁽٢⁾.

قلت: وهذا التحذير محمول على القراءة بألحان الغناء والموسيقى والتي تتعارض مع القرآن ووقاره وخشوعه وتخرجه إلى الترقيص والتأوهات والتكسّر وهذا مجمع على تحريمه.

وإن المتأمل في ترجيعه ﷺ يجد أنه نوع تجميل للصوت وتلحين للأداء، وهذا هو التنغيم المشروع، وهو ما سماه ابن حجر⁽٣⁾، والقسطلاني⁽٤⁾: "بقانون النغم".

---

(١) نزهة الأسماع في مسألة السماع لابن الجوزي: ص ٧٠.

(٢) الاستقامة لابن تيمية: ١/ ٢٤٦.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٩/ ٧٢.

(٤) لطائف الإشارات لفنون القراءات للقسطلاني: ١/ ٢١٨.

يقول ابن قدامة المقدسي: «القراءة بالألحان إن فرّط فيها فأشبع الحركات حتى صارت الفتحة ألفاً والضمة واواً والكسرة ياء حَرُم لما فيه من تغيير القرآن، وإن لم يكن كذلك فلا بأس به فإن النبي ﷺ قد قرأ ورَجّع»(١).

وما يسمّى في هذا الزمن بالمقامات، أو "الألحان المرسلة"، والتي لها مصطلحات كـ: "النهاوند والبياتي والصبا" وغيرها، فعند التدقيق والتحقيق نجد أن لحون العرب وأصواتها لا تخرج عن هذه الأوزان، بل إن قراءة القارئ لا تخرج غالباً عن أحد هذه الأوزان سواء شعر أم لم يشعر، كأوزان العروض في الشعر تضبط بها مقاماته.

وأخذ القارئ منها والاستعانة بها في تحسين الصوت والتغني بالقرآن بأخذها من المقرئين لا من الموسيقيين أرى أنه لا يتعارض مع أدلة التحذير، وأقوال العلماء في تحريم القراءة بالألحان، كيف وقد قال بعضهم بالاستحباب كما ذكرت في المبحث السابق، بل لم ينكر النبي ﷺ على أبي موسى الأشعري رضي الله عنه لما قال: **(لو علمتُ أنّك تَسْمَعُ لَحَبَّرتهُ لكَ تَحبِيرا)**(٢)، وهذا عزمٌ على التزيين والتلحين وقصْدٌ له.

يقول ابن كثير – معلقاً على قول أبي موسى -: «فدَلَّ على جواز تعاطي ذلك وتكلّفه»(٣).

ويقول القرطبي في المفهم: «أي: لحسَّنته ولجمَّلته، والحبر: الجمال .. وهذا محمول على أبي موسى رضي الله عنه على أنه كان يزيد في رفع صوته وتحسين ترتيله، حتى يستمع النبي ﷺ»(٤).

---

(١) الكافي في فقه الإمام أحمد لابن قدامة: ٤/ ٢٧١.

(٢) هذه الزيادة: أخرجها: البيهقي في السنن الكبرى: ٣/ ١٣ .

(٣) فضائل القرآن لابن كثير: ص ١٩١.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي: ٧/ ٥٧.

ولكن هذه الاستعانة مقيدة بشروط منها:

١- أن لا يكون في القراءة إخلال بأحكام التجويد وسلامة الأداء والنطق وطريق الرواية المتصل بالسند الصحيح، مع القراءة بخشوع ووقار يليق بالقرآن الكريم.

٢- أن لا يكون هناك مشابهة بأحوال الغناء في خلاعتهم وإيقاعاتهم الشيطانية والتي تميل إلى التكسّر والتخضع والطرب المحرم.

وقد ذهب بعض المتأخرين إلى ذلك منهم الشيخ الدكتور عبد العزيز عبد الفتاح قارئ في كتابه سنن القراء ومناهج المجودين(١).

وذكر قيداً للاستفادة من مقامات الصوت: «أن يأخذ القارئ الألحان من المقرئين لا من أهل الموسيقى و لا من معاهدها، لنهيه ﷺ عن ألحان أهل الفسوق والكبائر».

وذهب بعض المتأخرين إلى التحذير من هذه المقامات، موجهين حديث الترجيع بأن المقصود به تكرار الكلام وإعادته لا التنغيم وتحسين الصوت(٢)، وهذا يتنافى مع ما أثبته في هذا البحث، وقد أشرتُ إلى ذلك سابقاً.

* * * * *

---

(١) انظر: سنن القراء ومناهج المجودين: ص ٩٩ .

(٢) منهم: الشيخ بكر أبو زيد في: بدع القراء القديمة و المعاصرة: ص ١٨، و د. سعود الفنيسان في كتابه: فتح المجيد في حكم القراءة بالتغني والتجويد: ٨٧، وأبو شادي في كتابه: حكم القراءة بالمقامات الموسيقية والألحان: ص ٩١.

الخاتمة

وبعد فإنني أحمد الله عز وجل على ما منّ به عليّ ووفقني به من إتمام تحرير هذا البحث: «**الترجيع في القراءة مفهومه وحكمه**».

ومِن خلال معايشتي لهذا البحث، ثم وقُوفي على فصوله وجزئياته ومحاولتي للاستناد لكثير مما أستطيع الاعتماد عليه من أقوال ونقولات لأهل العلم موثقة فإني أسجّل للقارئ الكريم أهم النتائج والتوصيات التي توصّلت إليها فأقول: - مستعيناً بالله —

١- أن تحسين الصوت بالقرآن وجعله ندياً وجميلاً مأمور به شرعاً، فإن ذلك تخشع له القلوب، ويبعث على الخشية والتدبر.

٢- أن المطلوب شرعاً في التلاوة والقراءة هو تحسين الصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه والخشوع والخضوع، بالقراءة على ألحان العرب وأصواتها وطبائعها.

٣- أن الترجيع في القراءة ثابت عن النبي ﷺ ، وهو نوع من أنواع التغني بالقرآن الكريم وكيفية من كيفياته.

٤- أن الترجيع هو نوع تلحين لحروف المد خصوصاً وتقريب حركاتها وإشباعها.

٥- أن الترجيع لا يتعارض مع أحكام التلاوة والتجويد، فترجيع النبي ﷺ كان منضبطاً بأحكام التلاوة والتي نقلتها عنه ﷺ الأسانيد المتصلة الصحيحة.

٦- أن القراءة بالألحان وقوانين الموسيقى والطرب المحرم والذي يخرج بالقراءة عن وقارها وقواعد تجويدها يتنافى مع الترجيع الثابت عنه ﷺ.

وأسأل الله أن يجعل عمَلي خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به وعموم المسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * * * *

فهرس المراجع

- ○ **القرآن الكريم**، برواية حفص عن عاصم.
- ○ **الأرجوزة المنبهة**، لعثمان بن سعيد — أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤)، تحقيق: محمد بن مجقان الجزائري، دار المغني، الرياض ط. الأولى ١٤٢٠هـ.
- ○ **إكمال المعلم شرح صحيح مسلم** - للقاضي عياض، أبي الفضل عياض اليحصبي (ت٥٤٤ هـ)، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء. ط. الأولى ١٤١٩هـ.
- ○ **الأنجم الزواهر في تحريم القراءة بلحون أهل الفسق والكبائر**، لابن الكيال الشافعي، (ت ٩٢٩هـ)، تحقيق: د. عيسى الدريبي، ضمن بحوث مجلة الدراسات القرآنية للجمعية السعودية العلمية للقرآن الكريم (تبيان) العدد الثاني: ١٤٢٩هـ.
- ○ **الإقناع في القراءة السبع**، لأبي جعفر، أحمد بن علي الأنصاري، ابن الباذش، (ت٥٤٠هـ)، تحقيق: أحمد المزيدي، مكتبة الباز، بمكة المكرمة، ط: ١٤١٤هـ.
- ○ **بدع القراء القديمة والمعاصرة**، للدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله، دار الصميعي للنشر، الطبعة الثانية: ١٤١٦هـ.
- ○ **تاج العروس من جواهر القاموس**، لمحمد بن محمد الزبيدي، (ت ١٢٠٥ه) ت: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
- ○ **التحديد في الإتقان والتجويد**، لعثمان بن سعيد - أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ)، ت: د. غانم قدوري الحمد، الناشر: مكتبة دار الأنبار، بغداد الطبعة: الأولى ١٤٠٧ هـ .
- ○ تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن (حرف الجيم).
- ○ تفسير الرازي = مفاتيح الغيب (حرف الميم).
- ○ **تفسير القرآن العظيم**، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، (٧٧٤هـ)، دار الفكر، ومراجعة نخبة من العلماء بدار الكتب المصرية.
- ○ **تقريب التهذيب**، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار المعرفة، بيروت، ط: الثانية ١٣٩٥هـ.

○ **التمهيد في معرفة التجويد**، لأبي العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني العطار (ت ٥٦٩هـ)، تحقيق: غانم قدوري الحمد، دار عمار، ط: الثانية: ١٤٣١هـ.

○ **التمهيد في علم التجويد**، لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد الجزري، (ت ٨٣٣هـ)، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، ط: الرابعة، ١٤١٨هـ.

○ **حكم قراءة القرآن بالمقامات الموسيقية والألحان**، لأبي عبد الله سيد مختار أبو شادي، مطبعة السحار، القاهرة، ط: الأولى ١٤٣١هـ.

○ **جامع البيان في القراءات السبع**، لعثمان بن سعيد - أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ)، تحقيق: مجموعة محققين طبع جامعة الشارقة، ط: الأولى ١٤٢٨هـ.

○ الجامع الصحيح = سنن الترمذي (حرف السين).

○ الجامع الصحيح للبخاري = صحيح البخاري (حرف الصاد).

○ الجامع الصحيح لمسلم = صحيح مسلم (حرف الصاد).

○ **الجامع لأحكام القرآن**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (ت٦٧١هـ)، دار الحديث، القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٤هـ.

○ **جمال القراء وكمال الإقراء**، لعلم الدين السخاوي، (ت٦٤٣هـ)، تحقيق: د. على حسين البواب، مطبعة المدني القاهرة، ط: الأولى ١٤٠٨هـ.

○ **الجواب المفيد في الفرق بين التغني والتجويد**، لعبد الرحمن الدوسري، (ت ١٣٨٩هـ)، تحقيق: د. سعود الفنيسان، دار أشبيليا الرياض، ١٤٢٠هـ.

○ **سنن ابن ماجة**، لمحمد بن يزيد، (ت ٣٧٥هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

○ **سنن الترمذي**، لمحمد بن عيسى الترمذي، (٢٧٩هـ)، ومعه شرحه: تحفة الأحوذي للمباركفوري، مطبعة المدني، القاهرة، ط. القاهرة، ط: الثانية ١٣٨٤هـ.

○ **سنن النسائي الكبرى**، أحمد بن علي، (ت٣٠٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ.

○ **سنن القراء ومناهج المجودين**، للدكتور: عبد العزيز عبد الفتاح قارئ، مكتبة الدار بالمدينة النبوية، ط: الأولى: ١٤١٤هـ.

○ **شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني**، لأبي عمرو الداني، (ت ٤٤٤هـ)، تحقيق، غازي بنيدر الحربي، رسالة ماجستير في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ١٤١٨هـ.

○ **شرح النووي على صحيح مسلم**، لمحيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي — بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

○ **شرح صحيح البخاري لابن بطال** أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ.

○ **شرح السنة للبغوي**، لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي (ت ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

○ **شرح مشكل الآثار**، لأبي حعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، (ت ٣٢١هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ط. الأولى ١٤٠٨هـ.

○ **شعب الإيمان**، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤١٠هـ.

○ **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل، (ت٢٥٦هـ)، مع فتح الباري، تصحيح وتحقيق: محبّ الدين الخطيب، وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الشعب، القاهرة، ط: الأولى ١٤٠٧هـ.

○ **صحيح ابن حبان**، محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، (ت٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الثانية ١٤١٤هـ.

○ **صحيح ابن خزيمة**، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري (ت ٣١١هـ)، ت: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت.

- **صحيح مسلم**، لأبي الحسين بن مسلم بن الحجاج النيسابوري، (ت ٢٦١هـ)، مع شرحه: المنهاج شرح مسلم للنووي، دار إحياء التراث العرب، بيروت، ط: الثانية ١٣٩٢هـ.
- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، بدر الدين العيني الحنفي، (٨٥٥ه)، الناشر: دار إحياء التراث، بيروت.
- **الفتاوى الكبرى لابن تيمية**، تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ه.ـ
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت ، ١٣٧٩هـ.
- **فتح المجيد في حكم القراءة بالتغني والتجويد**، د. سعود الفنيسان، طبع مكتبة الرشد، ١٤٣٠هـ.
- **فضائل القرآن**، للقاسم بن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلاّم البغدادي، (ت ٢٢٤هـ) ت: مروان العطية ومحسن خرابة ووفاء تقي الديندار، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، ١٤٢٠هـ
- **فضائل القرآن**، لابن كثير، أبي الفداء إسماعيل بن كثير، (٧٧٤هـ)،، الناشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة : الطبعة الأولى - ١٤١٦ هـ.
- **لسان العرب**، لجمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي، (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط: الأولى ٢٠٠٠م .
- **مصنف ابن أبي شيبة**، أبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم (ت٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.
- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، تحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ.

○ **المستدرك على الصحيحين**، لمحمد بن عبد الله الحاكم، (ت٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١٤١١هـ.

○ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، (ت٢٤١هـ)، إشراف: د. عبد الله عبد المحسن التركي، والشيخ: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: الثانية ١٤٢٠هـ.

○ **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، لأبي العباس أحمد ابن الشيخ أبي حفص عمر بن إبراهيم الحافظ، الأنصاري القرطبي، (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق: محي الدين مستو، دار ابن كثير.

○ **المنح الفكرية على متن الجزرية**، الملا علي القارئ (ت ١٠١٦هـ)، تحقيق: عبد القوي عبد المجيد، طبعة البابي الحلبي ١٣٦٧هـ.

○ **النشر في القراءات العشر**، لأبي الخير محمد ابن الجزري، (ت٨٣٣هـ)، تصحيح: الشيخ علي محمد الضباع، دار الفكر للطباعة.

○ **نهاية القول المفيد في علم التجويد**، لمحمد مكي نصر، مكتبة الصفا، القاهرة، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ.

○ **النهاية في غريب الحديث والأثر**، مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ت: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ .

○ **الوجيز في حكم تجويد الكتاب العزيز**، د. محمد بن سيدي محمد محمد الأمين، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.

○ **الموضح في التجويد**، لعبد الوهاب بن محمد القرطبي، (ت ٤٦١هـ)، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط: الأولى، ١٤٢١هـ.

* * * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٨–٥
التمهيد	**٢٢-٩**
المبحث الأول: تحسين الصوت بتلاوة القرآن	١١
المبحث الثاني: أضرب القراءة المشروعة والممنوعة	١٥
الفصل الأول **مفهوم الترجيع ووصف قراءة النبي ﷺ وترجيعه فيها**	**٤٦-٢٣**
المبحث الأول: مفهوم الترجيع لغة واصطلاحاً	٢٥
المبحث الثاني: ووصف قراءة النبي ﷺ وترجيعه فيها، وتوجيه ما يوهم التعارض مع ثبوت ترجيعه	٢٨
المبحث الثالث: مفهوم ترجيعه ﷺ وتحرير محل الاختلاف في وقوعه ومعناه	٣٥
المبحث الرابع: الترجيع المنهي عنه في القراءة	٤٣
الفصل الثاني **الترجيع والتغني والتلحين، وقوانين النغم.**	**-٤٧**
المبحث الأول: الترجيع والتغني بالقرآن	٤٩
المبحث الثاني: الترجيع والقراءة بالألحان، والتطريب	٥٢
المبحث الثالث: الترجيع وقوانين النغم والمقامات الموسيقية	٥٧
الخاتمة وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات	٦١
فهرس والمراجع	٦٣
فهرس الموضوعات	٦٨

تم بحمد الله

* * * * *